تأملات فلسفية

نورا الهاشمية

2016

الإهداء

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية , لطالما سمعنا المفكرين وهم يصدحون بها لكن قليلون فقط من ينفذونها , فبقدر سهولة التلفظ بها فهي جزلة المعنى صعبة التنفيذ , ولكن كيف لو كان طرفا القضية من أقصاهما , وكان أحدهما هو كاتب هذا الكتاب ذاته والآخر هو عرابه وأستاذه وواضع خطة ونهج مسيرته الفكرية وبداياتها , لا شك أن الأمر صعب حين يتواجه قطبان عملاقان لكل منهما توجهاته التي تناقض بل تعارض بكل جذورها جذور القطب الآخر رغم كل هذا وذاك فهم يمشيان سويا يدا بيد , وكأن لا شيء يجمعهما غير الفكر والمحبة , وكأن العقل هو مصدر كل هذا الحب والعطاء الذي يزخر به العالم , وكأن الحق والعدل هو الهدف الأسمى من كل هذا الوجود , هنا تلاقى القطب اللاديني المتمثل في أستاذي وعرابي الشاب المبدع (مجهول) مع مشواري الفكري خطوة بخطوة متمثلا في تياري الذي لا حياد عنه , التيار الديني , وكأن مجرد

الإنسانية والتفكير فيها هي من جمعتنا سويا , من أجل العالم أجمع , لذلك النقي الطاهر

الذي تابع سير معظم سير تطورات هذا الكتاب , إلى الأستاذ النجيب الهادئ الوديع ,

إلى من ألهمني طريقي وإن كان عن طريق معرفة طريقه , إلى من قضى وقتا

طويلا وهو يرشد ويوجه , ويبحث ويسأل من أجل أن أشكل مشواري الخاص واتجاهي الفكري بكل استقلالية , إلى من دافع عن حقي في التفكير , حقي في خوض معركة الحرية من أجل الحرية , إلى صديقي الغالي ومعلمي أهدي هذا الكتاب.

إلى كل من ينتظر مني هذا العمل الفلسفي.

إلى كل من منحني الثقة التامة في القدرة على الوصول لهدفي.

إلى من منحني دافع التحدي للخوض في فروع الفلسفة.

إلى من وقف بجانبي عن بعد وعن قرب.

إلى من منحني الحب والعطف والحنان.

إليكم كلكم لا استثني أحدا أبدا , إليكم هذا العمل المتواضع**!**

نورا بنت حمدون الهاشمية

أميرة الليل

المقدمة

على الرغم من قساوة الخلوة , إلا أنها محرك جيد , ومنفّذ رائع , ومطبّق ممتاز , للمقولة الفلسفية الشائعة "الألم يولد العبقرية" , دخلت الفلسفة واقتحمتها اقتحاما , فهذه أول محاولة لي لكتابة فلسفية , تستمد معونتها من أرض الواقع وتحللها وتفككها في مخزني الفكري بمعونة محركي الدماغي , كتبتها كلها في فترات متقطعة , فنفسي قصير في الكتابة على الرغم من سرعتي فيها , تطرقت لشتى المواضيع التي تمس جوانب مختلفة من الحياة , حاولت أن أصل فيها بالتحليل الفلسفي البسيط لفيلسوف صغير مثلي , أن أصل لحل يقترب من الجذري لأسئلة كثيرة طرحتها هنا , معظمها جاءت من كثرة القراءة والمطالعة , وبعضها استقيتها من واقع الحياة , والأخرى جاءت نتيجة لتجربة عايشتها , فولدت لي أمثال هذه المتاهات الفلسفية , الأسئلة كثيرة وجميلة لا تتوقف , والإجابة جاءت مستندة على فكري الفلسفي فقط دون الرجوع إلى أقوال من سبقني من الفلاسفة , لأني أؤمن بمقول ديكارت :"لا أرغب في معرفة إذا سبقني إلى هذه (يشير إلى المعلومة الفلسفية) أحد أم لا" , وهذه المقولة حقيقة لم تأتي عبثا بل جاءت من ثقة تامة بقدراته العقلية , فنيتشه الفيلسوف الألماني الشهير لم يقرأ كتابا فلسفيا واحدا لمن سبقه من الفلاسفة , بل جاءت فلسفته نتاج تفاعل هائل بين عقله كمحلل وبين الواقع الذي عاشه وصادفه في رحلة إلى الحياة.

مادة الكتاب دسمة للغاية , لذلك فضلت أن أفصل بين بضعة مواضيع وأخر بفواصل جميلة لطيفة نبعت من قلبي وصدقها عقلي , معظمها كتبتها في حالة من الحب وعنفوان من الشوق والوجد لكائن مجهول لا أدري ما هو , وفي النهاية أدركت أن عملي الفلسفي كله كان محركه الأول والأخير , ودافعه الأساسي هو الحب , محبة كل شيء في الوجود , من صغيره إلى كبيره.

فاصل 1

الحب ليس حجر نرد نختار رقمه , ونقبل به دون أن ندرك

الحب إدراك , أن تدرك ما تفعل وأن تثقف بإدراكك..

ليس الحب من تدفعه اللذة , أو يدفعه الفراغ ,

الحب أن تعشق كل الشخص , كيانه وذاته ,ولو

سألتني عن ماهية كيانه أو ذاته , فلن أقول إلا تلك الروح

التي يؤمن بها الجميع هنا حولك.....وتشعر بها ترفرف بجانبك

الحب يخضع الزمن لجبروته , لا الحب من يخضع لجبروت الزمن

الحب يتعالى عن رغبة الجسد , فالحب أسمى من أن يتعلق بمادة

الحب لا يعانق غير الذات , ولا يباري غير الروح في سموها..

لا تقنعني أنك لا تملك الوقت لتعانق حبي هنا , فهذا ليس حب بقدر

ما هو فراغ تحاول حشوه بلعبة تتقنها أو اتقنتها كثر ما حاولت ممارستها..

عندما يستولي الحب عليك , يحرك عقلك لما يريد هو, فتصبح كل

حواسك تحت أمره , فكيف تقنعني أنك تعانق غيري كل يوم ألف مره

وأنت تدعي أن عقلك يدرك أنك تحبني؟

أحببتك لأنك لا تدعي المثالية كغيرك , لأنك لا تنقص من نفسك كغيرك ,

لأنك تدرك أنك مميز وفي نفس الوقت تعلم أن لديك عيوب , الجميل فيك

ذلك الهدوء والسكينة التي تغشى حديثك؟ يا ترى ما الذي يحركها؟ لماذا أنت

هكذا؟ لماذا أنت لست مضطربا كغيرك؟ لماذا تبوح لي بكل ما أريد معرفته؟ لماذا أنت لذيذ حتى في سرك وبوحك؟ أنت غريب ومتناقض حد الجنون؟

قرأت اليوم رواية لعبدالرحمن محمد حمدان , كرهت هذا العالم , ورأيت فيك عبدالله , رغم أنك أنت الخائن , لا أدري لماذا أرى كل جميل أنت؟

أنا لا أخسر حرب أدخلها , فلا تدعني أدخل حربا من أجلك , فأنا في الحرب والحب عنتر , فكر جيدا في سكوتك الطويل هذا , فهأنا أتحرش للمرة المليون بصبرك ,

وأرجو أن تكون بعد هذه الإجابة "أدري".

سأسرقك من كل شيء حولك , سأجعلك مسجوني , وحبي سجانك

سأجعل مصانع عقلي تكرر " الشت داون" ألف مره في اليوم , سأسرق النوم من أجفانك , سأجعل حديثي معك أطول من اليوتو ساعة في اليوم.

سأدخلك في دوامة تدير وتطيح بكل أسرارك , لا تتوقع أني انسى كلامك فأنا أذكر وأقارن , فحاذر أن تكذب أو تغش , لا تحاول أن تمتحني فأنا أستاذ الحب وطالبه , ولن يعلو على خبرتي مبتدئ مثلك.

لا تقنعني أنك مدهوش , فسهامك التي أدمت قلبي لن تزال إلا بجراحة

ولن أسمح أن تجريها يداك , وهي تمسك يدا أخرى غير يدي ,

لا تتظاهر بالحمق , فأنت تدري بأني أدري , ولا تحاول أن تظهر

بأنك لا تدري , صمتك لن يقتلني , بل سيعلمني القتال أو الخيانة , فإن لم تبارني , سأخون حبك في اليوم يوتو مرة , وفي كل مرة سأصنع سهام تغرق جسدك الطويل الممشوق القامة , لا يغرك صغر حجمي فالجبل من الحصى والبعوضة تدمي مقل الأسود.علمتني من مغامراتك الخيانة , ولم تعلمني

بعد الحب , فأسمح لي أن أعلمك الحب , ودع الخيانة مهرا مؤخر بيني وبينك , والله يعلم بعاقبة الأمور وحده.تريد أن تكون شيء في حياتي ولا تريد أن تمنحني حياتك مقابل ما تريد أخذه من حياتي؟ما هذا الطمع؟

لا تمسك العصا من المنتصف , فإما ان أنتظرك أو دعني أرحل لحال سبيلي.

أريد أن أعرف النهاية فقط , فأنصاف الحلول لا تروق لشجاع مثلي , تعلم مني القوة , ودع عنك المراوغة فهو ديدن الضعفاء والسلام!

إحساس القراء

أشعر أحايين كثيرة أني أقرب إلى أن أكون فيلسوفة من أن أكون عالمة , رغم أني حصلت على شهادة البكالوريا في تخصص علمي بحت , الفلسفة تبدأ بالدهشة وتمر بالتأمل إلى أن تنتهي برؤية شخصية تختلف من فيلسوف لفيلسوف , في حين أن العلم منهجه واحد للكل , ولا مجال للرؤى الشخصية فيه , لأن حقائقه تقترب من الحقيقة إن لم تكن الحقيقة ذاتها.

ما أثار دهشتي هذه الأيام , ما ألاحظه على معظم من يعشقون القراءة , ويهوون الكتابة ويمارسونها بإتقان , فهم مرهفي الحس , رقيقي القلب , ليني الجدل , وهذا حقيقة يثير تساؤل مهم جدا في عقليتي , هل هناك علاقة وثيقة بين الإحساس وبين القراءة؟ هل القراءة تنمي الإحساس ؟ هل تؤثر على الإحساس ؟وإذا كانت الإجابة بنعم , فكيف يكون التأثير ؟ وما مدى هذا التأثير؟ وهل هو تأثير ملحوظ , واضح للعيان؟.

دعونا نعرف المصطلحات أولا قبل البدء في الإجابة على هكذا تساؤل , وأول هذه المصطلحات هي ما معنى القراءة , ومتى يطلق على الشخص أنه قارئ , وما معنى الإحساس , وما هو مصدر الإحساس والمشاعر في جسم الإنسان.

القراءة وفقا للمعجم المعاني الجامع لغة هي صوت النطق بالكلام المكتوب وهذا المعنى ينطبق إذا كانت القراءة جهرية ,أما إذا كانت القراءة صامتة فإن معناها هي تتبع كلمات الكتاب نظرا دون النطق بها. والقراءة تختلف فوائدها بإختلاف مواضيعها , فقد تكون فكرية بحت أو تكون قراءة عاطفية , فالقراءة العاطفية هي التي تتمثل في الأحاسيس والعواطف والمشاعر , مثل القراءة عن الحب أو تجارب العشق والزواج , أو القراءة في معاناة الآخرين , فعندما يقرأ الإنسان مثل هكذا قراءة , أثبت العلم الحديث أن الدماغ يسارع في تشكيل صورة حية للمشهد في عقل

الإنسان –قدرة تخيلية-وتزيد هذه القدرة على حصر هذه الكلمات المقرؤة في مشاهد حية في الدماغ كلما زاد معدل القراءة لدى الإنسان , فهذا بدوره يزيد من تدفق الدم إلى الدماغ , وتدفقه يؤثر في تعديل بنية الدماغ للأحسن , فتنشط الأماكن المسؤولة عن التخيل والإحساس-لوزة الدماغ- لدى الإنسان بمعدل أكبر , من الإنسان غير القارئ , لأن القراءة هي عمل ويحتاج الإنسان لبذله إلى جهد مضن يقوم به , وكلما زاد عمل الدماغ , كلما زاد نشاطه وتغيرت بنيته للأحسن , فتنشط المناطق المسؤولة عن الإحساس والمشاعر , ويصبح الإنسان أكثر إحساسا بمعاناة الآخرين ومشاعرهم , وكيف التعامل معها عن طريق التجارب الذي قرأها وتشكلت لديه صورها في مخيلته , لذلك عندما يمر الإنسان بموقف مشابه , يشعر بداخله وكأنه مر بهذا الموقف سابقا , ويستحضر كل تلك المشاعر والأحاسيس التي اجتاحته أثناء القراءة , فيكون إنسانا أكثر فاعلية وتفاعل مع الموقف. هذه النوعية من القراءة واضحة التأثير على المشاعر والأحاسيس , ولكن إذا كانت القراءة فكرية بحت , كيف تؤثر هذه على تنمية المشاعر والأحاسيس لدى الإنسان القارئ .للإجابة على هذا السؤال لابد أن نركز على أمر مهم جدا , وهو ما الغرض من هذه القراءة؟ والإجابة تختلف من شخص لآخر , وعلى أساس الإجابة يعتمد قولنا في تأثير القراءة الفكرية على المشاعر والأحاسيس , وأسمى الغايات من القراءة هي القراءة من أجل الوصول إلى حقيقة الكون , الذي تهدف معرفته إلى التعرف على الله تعالى , فالعلم المسطور يكشف عن آثار عظمة الله في خلقه , وكلما ظهرت للإنسان آثار عظمة الله تعالى في الكتاب المنظور , زاد عنده اليقين به , والإيمان بقدرته , والإيمان بالله تعالى يقوى كلما زاد سمو روح الإنسان , وكل هذا لا يحدث إلا بإدراك عظمة الله في مخلوقاته , وهذا لا يكون إلا بالتفكر والتدبر , والقراءة مصدر أساسي من مصادر المتعة العقلية الفكرية. القراءة الفكرية تكشف للإنسان الحقيقة , وبالحقيقة يقوى الإيمان وتسمو الروح , والروح هي مصدر الأحاسيس والمشاعر وكل شيء يتعلق بالذات الإنسانية. لذلك كله فإن القراء هم أكثر الناس إحساسا وأعلاهم سموا ورقة في المشاعر , فهم بوتقة الإحساس الملتهبة , فإن كنت

ممن قسى قلبه , واحتدت نفسه فرققهما بالقراءة , فهي تفتح أفاقا أوسع للذات البشرية , ولا تزال تعلو بها حتى ترتفع عن كل نقيصة.

الشك حسن أم قبيح؟

كنت أؤمن دائما بمقولة برتنارد راسل فهي تعني في نفسي الكثير , فهو يؤمن أن مشكلة العالم أن الأغبياء واثقون جدا , والأذكياء شكاكون .لذلك كنت أؤمن أني ذكية فعلا , فأنا أشك في كل شيء , بل الشك محور حياتي ,كنت أظن أن الشك يجعل عقلك يتحرك , وفكرك أن يقفز من استنتاج إلى آخر ,و يجعلك في حيرة ودهشة واستغراب , و يثير الفضول في نفسك , وكنت أحسبه أيضا يجعل الشخص مميزا عن الآخرين , لأنه يحث جسدك على التفاعل مع أفكارك , ويستمد منها القوة على الاستمرار في الحصول على الإجابة التي تسكن نفسك وروحك , وتجلب الطمأنينة لعقلك وفكرك. أحيانا أؤمن أن الشك يجعلك تفكر بصوت عال جدا , وتعلن للجميع أنك موجود , وأنك تراقب وترى وتلخص وتستنتج ,و يجعل لك رأي ورؤية خاصة بك , يجعلك تتيقن أنك مميز وتثبت أنك موجود. ولكن عندما قرأت بتعمق عن الشك جعلني أتساءل هل كل أنواع الشك حسنة؟ هل فعلا جميع الشكاكين أذكياء؟ متى يكون الشك قبيحا – إن وجد-؟.

يؤمن الكاتب يوسف ميخائيل في كتابه سيكولوجية الشك أن الشك هو عملية فلترة خيارات متاحة للتوصل إلى خيار واحد صحيح وهذه المرحلة تسمى مرحلة اليقين , ويؤمن أنه في عملية فلترة الخيارات لا بد من إيجاد علاقة ما بين المتغيرات أو خلقها إن لم تكن ظاهرة حتى يسهل عملية غربلة الخيارات والانتهاء بأحد منها كخيار واحد فقط في مرحلة اليقين. هو يؤمن أن الخيارات كلها تظهر دفعة واحدة أمام الشاك , وتكون له حرية الاختيار من بينها بناء على العلاقة التي رجحت أحداهم على الأخر. أما أنا فأرى أنه في الأصل لا يوجد سوى خيار واحد فقط , فالخيارات لا توجد آنية في نفس الوقت , بل قد يكون لدينا خيار واحد فقط , فيشك الإنسان في صحة هذا الخيار نظرا لتعارض بعض مقوماته مع معطيات الواقع المحيط به , فيخلق العقل تلقائيا خيارات أخرى لها نفس احتمالية الخيار الأصل ,

ولكن كل خيار لو درس على حدة في عملية الفلترة لأوصل إلى نتيجة مختلفة , أي أن الإنسان الشاك في نظري حتى يوسم بالشك لابد أن يمر بثلاث مراحل وليس مرحلتين فقط مثل ما ذكر يوسف ميخائيل , أول هذه المراحل هي مرحلة خلق خيارات متعددة تنافس الخيار الأصل , وثاني هذه المراحل هي عملية ترجيح وفلترة أحد الخيارات لملائمتها للواقع أكثر من غيرها , والمرحلة الأخيرة والنهائية هي مرحلة اليقين والتوصل للنهاية. ويقول يوسف ميخائيل في كتابه أيضا أن الإنسان إذا لم يتجاوز مرحلة الفلترة وظلت نفسه حبيسة لها , وأصبحت حاجز له للوصول لمرحلة اليقين فإن الإنسان يدخل في طور الشك المرضي والذي يسمى وسوسة. والوسوسة وإن كانت جزء من الشك لأنها تحمل بعض مراحله فإنها لا تعد شكا موضوعيا منهجيا , لعدم توافر المراحل كاملة , وقد يزداد الشك عن المستوى الطبيعي عندما تزداد الطاقة الفكرية الموجهة في عملية الفلترة وهذه الحالة حالة سيئة من حالات الشك , كما أن قلة استخدام الطاقة الفكرية في عملية الفلترة حالة سيئة أيضا. إذا لنجيب على السؤال هل الشك حسن أم قبيح , لابد أن نركز على أمرين مهمين , أحدهما سبق وذكرته , وهو درجة الشك وقوته , والآخر موضوع الشك. فكما يقول المثل المتعارف عليه :"ما زاد عن حده , انقلب ضده " , فإذا زاد الشك عن الحدود الطبيعية للإنسان العادي , فهذا شك سيئ , كأن يشك في كل شيء في الوجود , من دون أي مبرر , أو في الجهة المقابلة يكون ضعيف الشك في كل الأمور التي تحتاج منه إلى شك , وفي هذه الحالة يكون ساذجا. هذا إذا استخدمنا قوة ودرجة الشك كمعيار لتحديد حسنه من قبيحه , والمعيار الآخر الذي يمكن أن يستخدم هو موضوع الشك , أي فيما يشك الإنسان , وماذا ينتج عن هذا الشك , فإذا كانت نتيجة الشك نتيجة حسنه , نتيجة تدفع إلى التقدم وتؤتي ثمارها طيبة على الإنسان سلوكا وفكرا ووجدانا , فالشك في هذه الحالة حسن , أما إذا كانت نتيجة الشك أو موضوعه سيء يؤثر بصورة سيئة على الإنسان فكرا وسلوكا ووجدانا فهو شك سيء والأولى تركه وعدم الخوض فيه , لذا قبل أن يخوض الإنسان في أي شك , لابد أن يعرف هل شكه حسن أم قبيح؟ فإن كان شكا حسنا , أخذ به ومر بمراحله

الثلاثة , وإن كان قبيحا تركه وشغل نفسه بما ينميها ويقوي مداركها وسلوكها ووجدانها. والدليل على أن ليس كل الشك شكا حسنا , هو قول الله تعالى في محكم كتاب :"إن بعض الظن إثم " , فبعض أنواع الشك تورث الهم والحزن وقطيعة الرحم , وتبتر العلاقات الاجتماعية , وبعض أنواعه تدخل الإنسان في متاهات ومصائب هو في غنى عنها. فكن حاذقا وشك فيما يستحق الشك فقط , وإلا فإن الأمر لا يستحق كل العناء , إن كنت غير قادر على إدارة دفة الشك بنجاح ومهارة , لذلك فإن من ليده رصيد خبرة وتجربة في الشك , يكون أكثر عرضة للنجاح واصابت حسنه , ومعرفة قبيحه وتجنبه , حتى تصبح مهارة الشك مهارة لا شعورية يقوم بها فكر الشخص ووجدانه تلقائيا دون الحاجة إلى مجهود كبير.

أسئلة في موضوع الشك لأستاذي

- إذا كنت تؤمنين بالشك كمنهج عقلي في خلق خياراتك وقناعاتك ويقينياتك في الحياة؛ لماذا زلتي تنطلقين من يقينيات الدينية موروثة في نظرتك للآخر المختلف، سواء في إطار نفس الدين أو خارج الدين. أليس الواجب طرح جميع الخيارات على طاولة الشك، ثم فرزها ومفاضلتها للوصول إلى مرحلة شبه اليقين؟!
- - لو أخذنا قناعتي الشخصية في وجود الله من عدمه. كنت يوما ما في مرحلة اليقين بوجوده بحكم نشأتي، ثم دخلت دائرة الشك في وجوده، وأنا الآن عالق في "اللاأدرية" وغير قادر للوصول لمرحلة شبه اليقين لأحد الخيارين. هل هذا يعود سببه لضعف في قدراتي العقلية؟! هل تسمى وسوسة؟!
-من يحدد هذا شك حسن وهذا شك قبيح؟! من يحدد هذا الموضوع يحتاج للشك وهذا لا يحتاج؟! ما هو المعيار؟! وكيف تبرهنين بأن كل شك ليس حسنا بآية قرآنية؟! أليس هنا خلط بين منهج عقلي وديني؟! لأن من وجهة نظري، العقل والدين لا يجتمعان بتاتا؛ لأن الدين قائم على التسليم والإيمان والخضوع والعقل يقوده الشّك. فكيف أبرهن بدين قابل للشك لكن ليس قابل للوصول لمرحلة الترجيح وما بعدها مرحلة شبه اليقين؟!
-الدين قائم على مسلمات غيبية؛ فكيف يستطيع عقلك الشكاك في إثباتها أو نفيها؟! عقلك الخاضع المسلم المؤمن هو فقط من يستطيع إدراك حقيقتها ورسم سيناريوهاتها في مخيلته.
-لو كان مبررك في عدم صحة الشك في كل شي هو مضيعة الوقت والجد وخلق المنغصات النفسية والأسرية والمجتمعية، ماذا أنت فاعله الآن؟! لماذا

تقرئين؟ لماذا تبحثين؟! لماذا لا تسلمين لكل الموروثات الأسرية والمجتمعية على مستوى الدين والعادات والتقاليد والأعراف وحتى على مستوى السياسة؟! ألم وألا تخوضي الشك في كل ما ذكرت، وسبب ويسبب لك أنواع من المنغصات؟!

ردي على أستاذي

عزيزي محمد , أنا قبل أن أتوصل لربط الدين المتمثل في قوله تعالى :"إن بعض الظن إثم" بالاستنتاجات العقلية , برهنت لك المعيارين بصورة واضحة جدا , والصورتين معا لا يخالفني فيهما أي متمرس ذو خبرة في مجال الشك , فالمستشفيات مزدحمة بأناس وصلوا لمرحلة أن يشكوا في كل شيء (قوة الشك , المعيار الأول) , ونتج عن هذا العارض أن أصبحوا في معزل عن المجتمع , وعدم القدرة على مخالطة الناس , فكيف يعيش بينهم إنسان يشك في كل شاردة وواردة دون أي مبرر , لأن من شروط الشك أن يكون هناك مبررا لشكك , لا أن تشك من دون مبرر , ومن أحد عمالقة هذه المبررات هو الوصول للحقيقة التي بدورها ترشد العقل والوجدان للاستقرار النفسي والراحة الداخلية الكامنة , لذلك الشك الزائد يسبب الاضطراب , وبسبب ما يسببه هو شك قبيح , ألا توافقني على هذا؟ , هذا بالنسبة للمعيار الأول لتقيم حسن الشك من قبيحه , وكل هذه المعاير لعلمك يا عزيزي إنما جاءت نتاج الخبرة والتمرس في فن الشك , وأن متيقنة وإن كنت لا تؤمن بها الآن , رغم منطقيتها , ستؤمن بها ولو بعد حين , ولكن بشرط أن تمارس الشك بكل مقوماته وأركانه.المعيار الثاني الذي يحدد به الشك حسنه من قبيحه , هو مضمون الشك أو نتيجته , واستشهدت بالآية القرآنية ليس من باب البرهان على هذا الأمر , بل من باب التأكيد على أن الدين قد تول لهذه المرحلة من الرؤية والاستنتاج , وطالما أن الدين أمرا فطريا فمن المعقول أن يقتنع به أي إنسان كان وفق للمبدأ , فالشك عندما يكون في مضمون لا يؤتي غير الهم والمصائب للإنسان ,أو يدخل الإنسان في دوامه هو في غنى عنها , فهو شك لا حاجة للإنسان في خوضه , ومبرر الشك في هذه الحالة مبرر واه جدا , فلماذا يضيع الإنسان الوقت والجهد الفكري

والوجداني فيه؟ , والحياة عامرة بأنواع من هذا النوع لما تأتي إلا بالنكال والمصائب لأهلها , فكم من أسرة تفرقت , وكم من علاقة قطعت , لأن الشك وضع في غير موضعه , ألا تتفق معي في هذا؟ هذا هو حديث العقل , والإسلام دين عقل ونقل , ولم يأمرنا أن نتبع الأمور هكذا بدون فكر أو روية , ولقد ذكرت تلك الآية من باب الاستشهاد أن الدين لا يتعارض مع العقل في أمور كثيرة .

بالنسبة لإيماني بالدين , وهل أنا الآن في مرحلة شك أم يقين , لابد عندما تتكلم عن الدين أن تفرق بين الأمور العقلية التي أمر بها الدين , عن الأمور التي عداها مثل الأمور الغيبية , أنا عندما اخترت الدين , اخترته عن علم لا عن جهل , وعن يقين مر بمرحلة شك لا تقوى أن تصمد أمامه , فالشك الذي أمارسه في جانب الدين أمارسه في الأمور العقلية فعلا , والتي يتطلب إتباعها إلى شك قبل يقين , كأن تؤدي الأمانة أو تقول الصدق أو تتصدق للفقراء,,,الخ , فهذه أمور بإمكان العقل أن يطرحها في طاولة النقاشات وبجانبها خيارات أخرى , ويقوم بعملية فلترة هذه الخيارات واختيار حسنها من قبيحها , وأن على استعداد على مناقشة مرحلة الشك في هذه الأمور العقلية المتعلقة بالدين معك , لترى إن كان إيماني عن جهلي أم عن علم .

عندما تبدأ لي أن معظم الأمور العقلية التي جاء بها الإنسان صحيحة , هذا كان دافع لي , لأن أنتصر في مرحلة الشك الثانية , وهي مرحلة الشك في الأمور الغيبية أو الأمور التي أمر بها الإنسان ولم يوجد مبرر عقلي لها كالصلاة وكيفيتها , والصوم وكيفيته , والغسل وكيفيته , أي أني استخدمت نتائج الشك في الأمور العقلية لفلترة عملية الشك في الأمور غير العقلية , وكانت هذه المرحلة أسهل بكثير من المرحلة الأولى , وتأكد بأنه لو استجد أمرا ما في الساحة العقلية من خيارات تجعلني أشك في خياراتي العقلية المتعلقة بالمرحلة الأولى لرجعت لمرحلة الشك من جديد , ولطرحت اليقين جانبا , ألا تراني قد أصبت هنا عزيزي؟

بالنسبة لما يتعلق بأمر الوسوسة وعدم قدرتك على التوصل لمرحلة اليقين المتعلقة بوجود "إله " , فأقول لك أن الوسوسة مرض , تجعلك حبيس فكره داخلية , ولا تسمح لك بممارسة أي عملية عقلية متوسعة بسببها , كما تجعلك في حيرة من أمرك عندما يتعلق الأمر باتخاذ القرارت الحياتية التي تحتاج إلى سرعة في اتخاذها وهذا بدوره يعيق تقدمك في الحياة , الوسوسة تجعلك إنسان مضطرب داخليا , لأنك لا تقوى على ترجيح أمر على أمر بسببها , تجعلك ضعيف داخليا , ومشغول البال في خياراتها , فإن كان "عدم يقينك بوجود الإله" يترتب عليه كل هذا , فهو نعم وسوسة , أما إن كنت قادر على مجابهة خياراتها , وعدم السماح لها في السيطرة عليك داخليا وجعلك إنسان مضطرب , فهي مرحلة لم تجتزها بعد , وستجتازها في النهاية بنعم أم لا.

المرض النفسي هو حالة غير طبيعية من الحالات التي قد تصيب الإنسان الطبيعي وتؤثر على طريقة تفكيره ورؤيته للأمور وقد يصل على أن تنعكس على سلوكياته وممارساته اليومية والعلمية. لابد من ظهور المرض النفسي بصورة جلية وملحوظة في الشخص أن تتظافر عدة أسباب وعوامل داخلية وخارجية , وقد تكون هذه العوامل سلسلة من الأسباب مرتبطة ببعض أو سبب واحد وحيد داخلي , أما العوامل الخارجية فلابد منها في كلتا الحالتين , ونقصد بالعوامل الخارجية هي طبيعة البيئة المحيطة بالإنسان. المرض النفسي خطير ويجب المسارعة في علاجه لأنه لا يقتصر تأثيره على الشخص المريض فقط , بل قد يتعدى آثاره المجتمع الذي يحيط به , لذلك علاجه واجب ولو قسرا. الأمراض النفسية في العصر الحديث تزايدت بصورة كبيرة وملحوظة جدا , وذلك بسبب الطفرة الهائلة التي أحدثها العلم والتكنولوجيا في حياة الإنسان , وبسبب الثورة الصناعية أيضا , التي جعلت من الآلة عنصر أساسي من عناصر حياة الإنسان , حتى أصبح كل شيء في هذا الوجود تديره وتحركه الآلة وشبكاتها الإلكترونية الكهربائية , ونظرا لكثرة تفاعل الإنسان مع هذه الآلة , وكثرة استخدامه لها حول هذا كله الإنسان من إنسان بشري إلى إنسان شبه آلي مبرمج مسيطر عليه من قبل تقنيات غير حية لا يقوى على التخلي عنها والعيش من دونها , وأعظم اختراع آلي إلكتروني توصل إليه الإنسان هو الكمبيوتر , ولم يتوقف هذا على الجهاز فحسب , بل ظهرت تطبيقات تسخر هذه الآلة بصورة أكثر فعالية وهو ظهور الإنترنت. قليلة هي الدراسات التي تظهر العلاقة -إن كان ثمة علاقة- بين الإنترنت واستخداماته وبين ظهور الأمراض النفسية وشيوعها , حيث لا يكاد الإنسان ينفك من استخدامه بصورة شبه لحظية , خصوصا مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي التي اكتسحت مجال العلاقات الاجتماعية اكتساحا , حيث يكاد الذين نعرفهم من خلاله يفوق عشرات الأضعاف من نعرفهم في حياتنا كلها وجها لوجه وفي الواقع.

الإنترنت هو عالم صامت , يجعلك تسخر معظم قواك وقدراتك العقلية والبصرية والسمعية , إلا قدرة واحدة يبخسها حقها كثيرا وهي القدرة الكلامية , حيث أن معظم تطبيقات الإنترنت تشعر عندما تتعامل معها وكأنك تتعامل مع كائنات خرساء لا تتكلم ولا تنبس ببنت شفه , الإنترنت يجعلك كائن تسمع تفكر تكتب تنفعل ولا تنطق , والإنسان حتى يشعر أنه إنسان لا بد من توافر كل هذه الإمكانيات جميعها مره واحدة , وإلا ما فائدة القدرة الكلامية التي منحنا إياها الله إن كنت تقضي ساعات في اليوم الواحد أمام هذه الآلة الصامتة , وتتواصل مع أناس تكتب وتنفعل لكن غير قادر على أن تعبر عن هذا الذي يفتعل داخلك بالكلام والصراخ , هذه الأمور كلها تجعل الإنسان أشبه بمخزن لانفعالات نفسية كثيرة لم ينفس عنها , بل تجعل الإنسان كائن يفضل أن يكتب ما يقوله دون أن ينطق به , وتقل قدرته الكلامية , وداروين يقول كلما قل استخدامك لشيء فإن الشيء يذبل مع مرور الزمن , ويصبح ضعيفا ويفقد قوته , ربما يضمحل ويتلاشى مع مرور الوقت , الكلام هو أحد أهم الوسائل في تنفيس الإنسان عن غضبه وانفعالاته ويشعر بالراحة كثيرا حين يخرج كل ما يعتمل داخله بالصوت , لذلك يطلب الأطباء النفسيين منك الصراخ والبكاء إن أردت , أما إذا أمضى الإنسان أوقات كثيرة يخاطب فيه أناس في مواقع التواصل الاجتماعي في الأنترنت وينفعل ويغضب ويثور ويخزن كل هذه الأمور كلها داخل نفسه دون أية ردة فعل كلامية يبدها هذا يجعله أشبه بقنبلة موقوتة مليئة بمشاعر لم ينفس عنها بإمكانها أن تنفجر في أي لحظة , وقد يسبب هذا أمراض وعاهات نفسية كثيرة قد يمتد سوئها ليصل إلى الإصابة بجلطات وسكتات قلبية , قد تجعله إنسانا يفضل الصمت الطويل والتفكير الداخلي الكبير, قد يتحول إلى إنسان يحدث نفسه ويرد عليها , قد يخلق بنفسه بيئة من أحلامه أشبه بذلك العالم الافتراضي يعيش فيها لمجرد تخيله فقط , قد تعزله عن العالم ويصبح غير قادر على العيش فيه بمثالية وخاصة وهو يفتقد إلى أهم الوسائل الاجتماعية في التواصل وهي الكلام , قد تجعله شخص يتلعثم حين يتكلم , شخص غير قادر على التعبير عن مشاعره بالصوت , وغير قادر على التنفيس عن آهاته وأحزانه بالصراخ. الكلام واستخدام الحبال

الصوتية مهم جدا , وبإمكان هذه القدرة أن تضمحل وتضعف متى ما استهلك الإنسان ساعات طويلة على الإنترنت وعاش عالما افتراضيا منعزلا عن عالم الصخب والضوضاء.

التخصص والوعي الجماعي

يرى علي شريعتي في كتابه "النباهة والاستحمار" أن التخصص يجعل الإنسان ينغمس في إطار محدود وصغير جدا بغض النظر عن مجتمعه , فهو لذلك يعدم الدراية الاجتماعية , كما يسلب الفرد امكانية شعوره بنفسه , كإنسان مساهم في شتى مظاهر الحياة , لأن التخصص يعمل على نمو الفرد من جهة واحدة فقط ويعطله من سائر الجهات , رغم ذلك يرى أن التخصص ضرورة لازمة ولكن لابد من دراية إجتماعية شاملة. أرى أن هذا الرأي رأي سلبي ينظر للتخصص على أنه وإن كان لازما فإنه يعرقل ويحد من الدراية الاجتماعية , ولكي نبرهن على أن كلام علي شريعتي يحمل من الخطأ الكثير , يكمن الأمر كله في الرد عليه في تحديد معايير ثلاثة أولها : درجة التخصص , وتحديد ما مدى حاجة المجتمع إلى التخصص بحد ذاته , والمعيار الآخر الذي نحن بحاجة إلى النظر فيه وهو مدى قدرة الفرد على العطاء في هذا التخصص .إذا كان التخصص من العلوم التي تحتاج في دراستها إلى تعمق كبير , نظرا لمدى صعوبتها , أو أن لها تاريخ حافل من الإنجازات والابتكارات فكيف تتوقع من المتخصص أن يبدع في هكذا مجال إذا لم يقضي جل وقته في تحصيل مثل هذه العلوم وسبر أغوارها؟ ثم أن أطباع البشر تختلف من شخصا لآخر كما تحدد علوم النفس الحديثة , فهناك ثلة قليلة من الناس تفضل العمل المفرد على العمل الجماعي , وغالبا ما يكون هؤلاء من العباقرة والمبدعين والمخترعين , ومجهودهم العلمي التخصصي الابداعي يتطلب منهم العزلة والخلوة التامة عن كل منغصات الحياة أو كل ما بإمكانه إفساد الروح العلمية المتفردة التي يمتلكها هؤلاء , والتاريخ يشهد بذلك , فكم من حالة إختراع كانت عملية جماعية مشتركة؟ الإجابة لا توجد إلا نادرا أو قليلا , فمعظم الاختراعات العلمية والابتكارات التخصصية جاءت نتاج العزلة الاجتماعي والإنفراد بالعمل العلمي , لأن العزلة تتيح للإنسان المتخصص القوة في تجيش كل قواه العقلية والوجدانية في

إنتاج ذلك العمل دون وجود أي تدخل , فكم من عالم عشق القراءة لأنها تهدي العزلة , وكم من فقيه أبدع وهو في غيابة الجب كأحمد بن حنبل , كما أنه هناك الكثير من العلماء الذي كانوا يعانوا من التوحد مثل توماس أديسون وانشتاين , رغم ذلك لم تمنعهم وحدتهم من الإبداع , بل قادوا البشرية جميعا بما أهدوه لها من إنجازات , ولا يهم إن كان تخصصهم أسهم في بنائهم في جانب واحد – مثل ما يقول علي شريعتي – المهم أنهم كانوا منتجين فيما تخصصوا وأفادوا البشرية ولو بصورة غير مباشرة , فكم ممن بلغت درايتهم الاجتماعية أوجها ولم يقدموا للبشرية مثل ما قدمه هؤلاء , إذا الدراية الاجتماعية مهمة , ولكن ليست بالضرورة مجدية لكل الأفراد , طالما أن الإنسان المتخصص مبدع في تخصصه معطاء في إنجازاته فهذا بحد ذاته خدمة للدراية الاجتماعية ولو بصورة غير مباشرة. الدراية الاجتماعية حرفة لا يجيدها كل البشر , ولسنا بحاجة إلى كل الأمة حتى تكون عندها هذه الدراية , فليس كل أحد مؤهل لأن يخوضها , فهي تحتوي على أفكار ورؤى ومبادئ شأنها شأن غيرها من المجالات , لذلك لابد لها من أناس على علم بمقتضياتها وتفاسيرها , وليس بالضرورة أن يكون كل الناس لديهم هذه.

العلم سابقا في العصور الوسطى وما قبلها كان علما بسيطا , وكانت الثورة لا زالت في بدايتها , لذلك كان جل العلماء يجمعون بين أكثر من تخصص ولكم في ابن سينا وابن الهيثم والرزاي مثالا , حيث كان يبرع أحدهما في مجال من المجالات ويتفوق في مجال آخر في نفس الوقت , أما الآن في هذا العصر فالعلم أصبح أكثر تعقيدا وأكثر تشعبا والتخصصات جزئية صغيرة جدا , وكل تخصص بسيط يحتاج إلى أمد طويل لاجتيازه وسبر غوره , وليس من السهولة بمكان ان يصل المتخصص لبغيته إذا كان يشغله أمور أخرى اجتماعية وغيرها , بل يؤدي إنشغاله بهذه الأمور إلى تشتت فكره , وضياع جهده في أكثر من مجال , والمحصله أعمال متفرقة لا تؤدي نتيجة , وهذا هو الحاصل حقيقة في الوطن العربي , حيث الكل يتكلم عن الدين وعلاقته بالمجتمع والكل يتكلم عن السياسة وعلاقتها بالدولة والحروب التي تسببها , ولو صرف كل واحد منهم جهده لعمل متخصص فريد من نوعه لأنتج الكثير من

الأمور المبدعة.وحين نتكلم عن الوعي الاجتماعي لابد أن ندرك أن هناك نوعان من الوعي الاجتماعي : منه ما هو بديهي يتعلمه الإنسان لكونه إنسان , ومنها ما يحتاج إلى بحث وتقصي .فالأول ضروري لكل بشري على وجه الأرض تخصصي أو غير تخصصي , وهو ليس بحاجة إلى جهد لاكتسابه , أما النوع الآخر , فهو نوع مضني ويحتاج الإنسان لاكتسابه إلى وعي هائل كمثل الناتج عن تحصيل التخصص نفسه , ولذلك هناك علم متخصص يسمى بعلم الاجتماع , ودراسته تتطلب جهد كبير مثله مثل باقي التخصصات.

فاصل2

في كل يوم

يراسلني ألف

وأنا

ما أريد

غير أُلفك!

المؤامرة

عادة ما نسمع ونرى صدى الانقسام الحاصل في وطننا العربي حول حقيقة مؤامرة غربية تحاك ضدنا , فالفريق الأول المعارض حرص في رفضه لفكرة المؤامرة على أن يستقل العرب والمسلمين في حل مشاكلهم بأنفسهم دون أتخاذ الغير شماعة لمشاكلهم , مما يدفعهم للاتكالية والخمول , ويدفع بأبناء شعبهم إلى الجمود والركود , أما الطرف الآخر فذهب إلى تأكيد أن هناك فعلا مؤامرة غربية تحاك ضد العرب المسلمين وتهدف إلى تقويض صروح حضاراتهم وهدم أركان دولهم وحضاراتهم , وقبل الانحياز لأحد الفريقين لابد من شرح الموضوع شرحا بسيطا غير مخل للوقوف على أهم جوانب القضية , وقبل أن نتطرق إلى كل الحجج التي تفند الرأي المخالف لا بد أن نستعرض شرحا مبسطا لمفهوم المؤامرة.

جاء في كتاب "المؤامرة حقائق أم نظريات" للكاتب الدكتور فاروق عمر العمر أن المؤامرة هي استراتيجية حربية للتغلب على العدو دون اللجوء إلى قوة السلاح أو الحاجة إلى الحرب(تدار من المكاتب دون الحاجة إلى ساحات المعركة) , وتستخدمها الدول ضعيفها وقويها , وهي أكثرها فعالية كون أن فاعلها قد يخرج دون أية خسائر تذكر. والمؤامرة حتى تكون مؤامرة لابد أن تتوفر فيها الأركان الخمسة وهي : العدو , المعلومات (التجسس) , مواطن الإيذاء , التخطيط الذكي , السرية. المؤامرة هي إذا تخطيط في منتهى السرية والغموض يدار من الخفاء ويقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد ضد عدو ما بهدف الإضرار به فور الحصول على كافة المعلومات الأساسية عن طريق التجسس مثلا. المؤامرة حركة غامضة فعلا , ولكن هذا لا يعني أن كل أحدثها تحصل في الخفاء , أحيانا الفعل يمر بمراحل أوله مؤامرة وعندما يطمئن للنتيجة يبدأ في الشروع في الخطوات الأخرى التي تكون أسهل من البداية , ما لا يستطيع المتآمر عليه فعل شيئا حياله يكون ظاهر وواضح , أما الأمور المتعلقة بالجزء التي يستطيع أن يفعل له شيء فإنها

تخفى ولا تظهر وهي الأمور الجوهرية في المسألة التي لو عرفت لكشفت المؤامرة.

البعض يزعم أن المؤامرة لا تحصل وللرد عليهم وتفنيد حججهم لابد إذا أن ننظر إلى الماضي فإذا وجدناها فلقد قطعنا شوطا في إثباتها , والشوط الثاني لا يقطع إلا إذا تم تحليل الماضي ومعرفة أسباب حصولها وإمكانية حصولها في الحاضر, وكل الشواهد تبرهن على أنها قابلة للحصول في كل مكان وزمان. إذا المؤامرة هي منهج وأداة قديمة استعملتها البشرية بداء من الشيطان الذي تآمر على آدم وحواء وأغراهما للخروج من الجنة , مرورا بتآمر قابيل على هابيل وقتله إياه , إذا المؤامرة تحتاج إلى دراسة تاريخية عميقة لتقصي تتابع ظهورها والوقوف عند أسبابها.

هناك الكثير من الأسباب الظاهرة التي تجعلنا نوقن أن حصول المؤامرة أمر حاصل , وهذا لا يقتصر على العالم الإسلامي فقط , بل سنوضح أن المؤامرة بالإمكان أن تتحقق متى ما توفر أي سبب من الأسباب التالية الذكر , ولكن لأن هناك الكثير من الأحاديث والآيات التي توضح العداء الكفري للمسلمين , جعل أمر مؤامرة الغرب بالتحديد ضد العرب المسلمين أمر وارد الحصول وبصورة كبيرة جدا.

من يقول أن أعداءنا لا يحيكون المؤمرات علينا , فهم يشهدون لنا بالذكاء لسببين : أحدهما هم يقرون أن أعداءنا لا يخططون ليصلوا لمآربهم , فهم حمقى , والسبب الآخر : يقرون أننا نفكر بصورة أذكى من أعداءنا لدرجة أننا لا نضع كل شيء للصدفة والقدر!, وجود الأفضلية سواء الإنسانية أو الاقتصادية أو السياسية محرك أساسي من محركات المؤامرة , فهو يدفع الناس إلى التباغض والتحاسد والتنافر فيما بينهم ولا يكون هذا إلا عن طريق عمل المؤامرات لإسقاط الخصم , وهذا هو في حقيقته صراع أبدي بين الخير والشر , والصراع لا يكون إلا بتسخير كل الوسائل الخبيثة والقذرة من قبل الشر لتحطيم الخير والفوز بالمعركة وكل هذا الصراع لابد أن ينتهي ببقاء واحد فقط , فالخير والشر لا يلتقيان , ولابد حتى يبقى

واحد أن ينتصر واحد فقط في هذه المعركة , وقد يكون أحيانا الخير قويا ولا يمكن للشر هزيمته , لذلك يلجأ إلى التآمر سرا عليه وتنفيذ المخططات الغامضة التي في ظاهرها قد تكون حدثا عاديا , وهي في حقيقتها مصيدة وفخ للخير. يقول تشرشل :" لنا مصالح أبدية , وليس أصدقاء أبديون أو أعداء أبديون" , السؤال الذي يطرح نفسه هنا :ماذا إن لم تتحقق هذه المصالح ؟ ماذا لو لم تكن الفرص مؤاتية؟ ماذا لو رفضت الدول وجود هذه المصالح وحصولها؟ , والإجابة على هذه الأسئلة يؤكد لنا على أن المؤامرة قد تحركها المصالح , وطالما أن للغرب مصالح كثيرة في الوطن العربي الإسلامي فمن المؤكد أن المؤمرات تحاك وبكثرة هناك , خاصة بعد إندلاع ثورة النفط في العالم الإسلامي ,خاصة لو عرفنا أن الدول العظمى مثل أمريكا يسيطر على معظم حكوماتها هم رجال الأعمال الذي تخدمهم السلطات العليا – انظر كتاب السيطرة على الإعلام لنعوم تشوماسكي , ولا شيء يحرك رجال الأعمال أكثر من المصالح والمال فقط.

كل هذه الأدلة السابقة الذكر توضح أن إمكانية حصول المؤامرة كثير جدا وخاصة ضد الوطن العربي الإسلامي ولكن هذا لا يعني أن الوطن العربي الإسلامي لا يتحمل جزء من الذنب , فلابد حتى تعمل المؤامرة أن تكون هناك بيئة خصبة من قبل الأطراف المتآمرين عليهم , وإلا لن تنجح المؤامرة , لذلك قبل أن نتهم أحدا بالتآمر علينا لابد أن نراجع ذواتنا ونكتشف نقاط الضعف التي تجعلنا من السهل التآمر علينا. التاريخ مليء بقصص مؤامرات حيكت ضد العالم العربي الإسلامي , لو لم يكن العالم العربي الإسلامي به من الخلل والضعف ما يسهل عليه اجتذاب مثل هذه المؤمرات لكانت أبعد ما تكون عنا .

سيكولوجية الحب

الحب يأتي بصور ودرجات فمنها الكلف والهوى والشغف والعشق والوله والومق والشجن والغرام والود والوصب –لمراجعة الفرق بين كل واحدة راجع كتاب سيكولوجية الحب , إعدادا كايد الشايب- وقيل قد يصل أسماء الحب في اللغة العربية ومعاجمها إلى أربعة عشر اسما ولكل اسم معنى خاص يختلف عن الآخر, والحب بالإمكان تعريفه ببساطة على أنه التأثر الوجداني بالمحبوب والإحساس بالترابط معه والشوق والحنين إليه , وشدة الحب تسمى عشق , ويقال أن الفرق بينهما أن الحب بلا شهوة أما العشق فإنه مقترن بشهوة .أما في علم النفس فإن للحب خمسة أقسام بناء على موضوع الحب فهو إما أن يكون حبا أخويا أو أبويا أو حبا ذاتيا أو حبا شبقيا , والحب الشبقي هو موضوع حديثنا هنا. السؤال الذي يطرح نفسه كثيرا عند الحديث عن الحب هو ما مصدر الحب ؟ هل هو فعل عقلي ؟ أم وجداني عاطفي مجرد من الوعي ؟ هل يدرك الإنسان عندما يحب أم يحب لا تلقائيا ولا شعوريا أو كما يقال من النظرة الأولى فقط ؟

كثيرون يقولون أن الحب يأتي فجأة , وأن النفس لا شعوريا تقع في حب المحبوب دون أن يكون لديها أية اختيار أو قرار في الأمر , أما الطرف الآخر فيقول أن المحبة لا تأتي إلا بطول الخبرة وكثرة التجربة والمشاهدة , أي أنها تحتاج إلى وقت طويل للوقوع في الحب , ولمعرفة كيف نجيب على مثل هكذا سؤال لابد أن نحدد ما هو مصدر التأثر العاطفي الوجداني بالمحبوب ؟ وما الذي يجعل الشخص يشعر بالترابط معه ؟ ولماذا يشتاق المحب للمحبوب ويحن إليه ؟ , صاحب كتاب سيكولوجية الحب وبعض علماء النفس فرقوا بين الافتتان والحب , فالافتتان قد

يحصل فجأة أم الحب فيحتاج إلى وقت طويل لكي يحصل ,في الافتتان يكون المحبوب مغايرا للمحب أم في الحب يكون المحبوب والمحب شخصا واحدا اتحدى سويا وكأنهما نفسا واحدة. في نظري أن الافتتان يكون لحظيا وقد يزول بسرعة أم الحب فيظل طويلا ربما لأن الافتتان يكون مصحوب بالتفاجؤ الغير واعي أو بدون إدراك , وفور ما يدرك المرء للموقف قد يكون الأمر بعدها مهيأ للمواصلة والوصول لمرحلة الحب أو يكون غير مهيئ , أي أن للحب لابد من افتتان ولكن ليس من شروط الافتتان أن يقع صاحبها في الحب , فالحب والافتتان شيئان مختلفان لا يمكن وضعهما محل بعض ,لذك كان لبعض العلماء آراء مختلفة في هذا الموضوع, فالافتتان في نظر ابن حزم الإندلسي ينص على : أن الحب من النظرة الواحدة ضرب من الشهوة , ويعلل ذلك بقوله أن اتصال النفس لا يكون إلا بعد أن تتهيأ النفس للإتصال, وتكون على دراية تامة بالمتصل به وكيف تتجاوب معه وتتفاعل مع الحب حتى يكون أخذا وعطاء , ولا يكون ذلك إلا بالمعاشرة والتجربة والمشاهدة.في نظري أن هناك علاقة وثيقة بين العقل والوجدان الذي هو أساس العاطفة التي ينبع منها الحب , ففي حالة الافتتان لابد أن يكون الأمر لحظيا وينطلق مثل الشرارة فور رؤية الشخص المفتتن به لأن الشخص المفتون سبق أن قرر صفات يعجبه في الشخص المفتتن به فخزنها في عقله اللاواعي كمعلومات ظهرت فجأة فور رؤية الشخص المفتتن به , وقد يدرك الشخص المفتون بعد الإتصال مع الشخص المفتتن به أنه شخص غير مهيأ للتواصل العقلي أو الوجداني أو النفسي , أي أنه شخص لا يمكن أن تنشأ معه رابطة محبة , والتجربة تبرهن على هذا النوع فلقد قيل :"أرى رجل فيعجبني وإذا سألت عنه سقط من عيني". لذلك من هذا نستنتج أن الحب ممارسة وإن كانت وجدانية في النهاية , إلا أن بدايتها بداية عقلية واعية أو غير واعية , فلا يشترط أن يمر المحب بالافتتان أولا , فقد يدخل في مرحلة الحب مباشرة ولا تكون هذه إلا بتسخير العقل الواعي , فقد يحب المحب محبوبه لسببا ذاتيا أو لسببا موضوعيا , فالسبب الذاتي هو أنه يرى المحبوب إنعكاسا لذاته , أو يرى فيه مرآة لطموحاته وتوجهاته , فيحبه لأنه يحب ذاته , ولأنه يرى أن ما وصل

إليه المحبوب هو ذاته الذي يتمنى أن يصل له , فيكون في مثل هذه الحالة وكأنه يحب ذاته ويتمنى أن يوصلها لطموحات وتطلعات يتمنى المحب أن تتحقق ويسعد لأنه يراها في أرض الواقع وقد تمثلت في محبوبه .هذا هو النوع الأول من أسباب محبة المحب لمحبوبه , والسبب الآخر هو سببا موضوعيا وهو لأن المحبوب يلبي طلباته واحتياجاته فيشعره بالراحة والطمأنينة التي يحتاجها , فمثلا يرى فرويد أن تعلق الطفل وحبه لأمه لأنها تشبع عنده الحاجات الأساسية , فحبه لها لأنه حبا للبن أولا وأخيرا ,لذلك الحب والكراهية مسألة ليست فطرية ولكن تتعلق بتلبية الحاجات الأساسية. من هذا كله نستنتج أن العقل هو المحرك الأساسي لكل هذه المشاعر والأحاسيس , ولابد حتى يصل المحب لمرحلة التأثر الوجداني بالمحبوب لابد أن يمر بمرحلة العقل الواعية , وأحيانا أخرى يشعر المحب أنه يحب محبوبه لسبب آخر لا يدركه , وما هذا في حقيقته إلا لأنه غير قادر على تذكر بوعي السبب الذي يجعله يحبه وينجذب إليه , فأحايين كثيرة يجتاز المرء مرحلة الافتتان الغير واعية ويدخل في مرحلة الحب ويظل يستخدم ذاكرته الغير الواعية ولا يكون هذا إلا إذا ألف التواصل والاتصال مع من يحب ووصل إلى مرحلة التجربة والعشرة والمشاهدة , فالمحب يهوى التملك والمعاشرة تجعلك تشعر أن المحبوب ملكك تخشى أن تفقده. الحب قد يكون في بدايته لأسباب –كما ذكرت سابقا – ولكن بعد أن يتمكن من المحب ويتحول من فعل عقلي واعي إلى حب حقيقي , يملك المحب ويصعب التخلص منه ولا حقيقة لمن يقول أن الحب هنا قد يزول بزوال الأسباب.

فاصل3

أذن المؤذن , وخلف كل كلمة يقولها أردد "لا صلاة إلا في محراب الحب"

Safety factor

كنت استرجع دروس الهندسة قليلا , ومر على خاطري ما يعرف بمعامل السلامة safety factor وأنا أرجع ردود أحد الملحدين على شيخ دين مشهور وهو الشيخ أحمد ديدات , فيقول له :ما شعورك لو مت ووجدت أن الآخرة كذب؟ , فقال له الشيخ : ليس أسوأ من شعورك لو مت ووجدت أنها حقيقة. أبهرني رده كثيرا , لكن لم أتعجب منه , لأني دائما أتبع مبدأ "معامل السلامة" الذي تأثرت به كثيرا عند دراستي للهندسة , معامل السلامة ينص على أنه لابد للنظام أن يكون له سعة تجاوز السعة المحددة له ولو بقليل ليضمن عمل النظام في حين حدوث أي خلل في السعة المحددة الطبيعية , ولنضرب مثالا على ذلك , لو تقدمت لطباعة كتاب في أحد دور النشر , وكان اتفاق الطبع أن تقوم الدار بطباعة 500 نسخة فقط , فعندما تقدم الدار هذا العرض للمطبعة , فإن المطبعة تضع معامل سلامة يزيد عن الحد المحدد بينكما في العقد , وهو بمقدار 50 أو 100 كتاب , وذلك في حالة حدوث أي تلف في عدد محدد من الكتب , أو سوء طباعة , أو أي أمر بإمكانه إفساد العدد المحدد المتفق عليه , وهذه استراتيجية جيدة جدا , فهي تخرج المطبعة من موقف حرج قد يحدث في حالة حصول شيء لعدد محدد من النسخ وفي وقت ضيق لا تستطيع فيه فعل شيء , فيكون لدى المطبعة عدد زيادة من النسخ للخروج من هذه الورطة , وهذا ما يسمى بمعامل السلامة safety factor.

لنعود لقصة أحمد ديدات والملحد , ونركز قليلا على القصة , ولنحكم أيهما أشد خسارة , أن تموت وتجد أن الآخرة كذب , أم تموت وتجد أن الآخرة حقيقة؟ , والإجابة حقيقة سهلة جدا لكل من يمعن النظر ولو قليلا في الموضوع , وتطبيقا لعامل السلامة فإن عدم وجود الجنة أهو بكثير من وجود النار وأنت لا تتوقعها , فالملحد هو الخاسر الأكبر في النهاية لو قارنا خسارته بخسارة من يؤمن بالآخرة

ويتوقعها فعلا , رغم أن المسلم لا يوجد شيء يخسره في الدنيا حقيقة , فالصوم صحة والزكاة طهارة ومعونة والصلاة رياضية جسدية إن لم تكن روحية , هذا بجانب الأخلاق الكثيرة الحسنة التي يعلمنا إيها الإسلام , يعني أن المسلم والملحد في الدنيا يعيشون سواسية , لا فرق إن كان كلاهما يحب الخير ونفسه طيبة , فالمسلم يتزوج ويعتكف , يصوم ويفطر , يقوم الليل وينام , إذا تطبيقا لنظرية عامل السلامة فأيهما أحق أن يتبع إن كنت مهندس حياة حقيقي فعلا؟! , الذكي فعلا هو من قلل خسارته وزاد أرباحه , فهذه هي التجارة الحقة فعلا , والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :"ألا أن سلعة الله غالية , ألا أن سلعة الله الجنة " , ما أجمل هذا الوصف وهو يصفها بسلعة , في مدينة التجار!

لفلان رب يهديه

سمعت لمناظرة بثتها قناة الجزيرة مضمونها حول :"هل للحرية قيود" , وكانت حقيقة محاورة راقية جدا أسفرت عن فوز الفريق الذي يقيد الحريات بقيود بفارق كبير , ينم عن أن معظم العرب لا يؤمنون بالحرية المطلقة , ويذهبون إلى أن الحريات لا تبد أن تكون لها ضوابط قد تكون فردية نابعة من الفرد ذاته وتكون لها مرجعية ثابتة لديه , أو تكون قيود خارجية متعارف لديها عند المجتمع الدولي , وهذه أمور بديهية مسلم بها , وإلا لكانت الحياة عبثا مسيرة من قبل أهواء الناس وميولاتهم المختلفة , ولما كان هناك رادع يردع مثل هذه الحريات المتمردة لا خارجي ولا داخلي , بل لعاثوا في الأرض الفساد. النقطة الأساسية التي يدور حولها موضوعي هنا , والتي أثار فيني الفضول للبحث والتقصي هو :طالما أننا نؤمن بالحريات الفردية لكل شخص في المجتمع فعلاما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يؤمن به المسلم ويحث عليه الإسلام ؟ أوليس لفلان رب يهديه ؟ لماذا لا يتكفل الله بهدايته ؟ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعدي على خصوصيات الفرد ؟.

لنجيب على هذه الأسئلة لابد أن ننعرف شيئين أساسيين يدور حولهما محور الموضوع ألا وهما : الحرية والخصوصية. الحرية الفردية هو أن يكون للشخص القرار له وحده , دون تأثير أية عوامل خارجية أو ضغوطات داخلية , ولابد أن يكون قراره نابع من يقين واقتناع ذاتي أن ما يقوم به من سلوك أو كلام هو الصحيح الذي يؤتي ثماره ويحقق الخير له ولمجتمعه , يعني حتى يكون الإنسان حرا في سلوكه أو قوله لابد من توافر معاير ثلاثة أولها :أن يكون القرار نابع من ذاته هو دون أي ضغوطات خارجية أو داخلية , ثانيا :أن يكون مقتنع أن القرار هو القرار الصحيح , ثالثا :أن يكون القرار يؤدي إلى نتائج حسنة وجيدة له ولمجتمعه , فإذا انهارت أحد هذه المعاير فلا يمكن أن نقول أن ما يقوم به الفرد حرية فردية , بل قد يكون مرضا نفسيا يحتاج فيه الشخص أن يدخل إلى مصحة نفسية ليعالج نفسه

من هكذا قرارات , أو مركز إعادة تأهيل لتعريفه بالحق الواجب على نفسه وعلى مجتمعه , فالجسد الذي يملكه الإنسان وإن كان له , ولا يحق لأحد التدخل فيه , فإنه إن وصل إلى مرحلة إيذائه أو عدم المحافظة عليه أو إلحاق الضرر به فإنه يخرج من عهدة الشخص ذاته ويصبح المجتمع هو مسؤولا بدلا عنه للحفاظ عليه منه , لذلك جاء المجتمع الدولي ووضع حدودا لبعض الحريات , كممارسة البغاء وتعاطي المخدرات وغيرها من الأمور التي تدمر مقوم أساسي من مقومات الحرية الفردية. هذا بما يتعلق بالحرية الفردية وشروطها , أما بما يتعلق بالخصوصية الفردية فهي حق من حقوق الفرد أن يتفرد بممارسة قرارته دون أن يحشر أحد أنفه في معرفتها أو سبر أغوارها , ولكن لا تكون الخصوصية خصوصية إلا إذا توفر فيها شرطين أساسين: هي النتيجة الجيدة من التمسك بهكذا خصوصية , والاستقلالية الذاتية , فإذا كان احتفاظ الشخص بالأمر لنفسه يؤدي إلى تعريض حياته للخطر أو الهلاك مثل تفاصيل التقاطه لفيروس أو تفاصيل تعرضه لجريمة ما , فهذه لا تعد خصوصية بل ينبغي له أن يشاركها مع أحد ذو خبرة ومتمرس في هذا المجال , والمعيار الثاني حتى تكون خصوصية هو الاستقلالية الذاتية , فالشخص الخاضع الخانع لأمر ما لا يمكنه الاحتفاظ بخصوصية له , لأن الخصوصية ملك للنفس ونفسه ليست ملكه , فلن تكون خصوصية إلى تشارك فيها أكثر من شخص غير ذات الشخص صاحب القرار. بعد أن عرفنا الحرية والخصوصية ومقومات كلاهما , الآن نجاوب على السؤال المحور في هذه القضية , وهو هل يحق لأحد أن يقف مع الشخص موقف معاتب أو ناصح حتى يعدل الشخص من قرارته ؟ هل يجوز أن يدخل الإنسان في خصوصيات غيره؟ , ولنجيب على هذا السؤال لابد أن نسأل ثلاثة أسئلة جوهرية مهمة وهم :ما الغرض من هذا النصح والتدخل في خصوصيات الآخرين؟ والسؤال الثاني : ما هي مرجعية الشخص في نصحه ؟ وثالثا وأخيرا ما هو الأسلوب المتبع في النصح؟ , والإجابة على هذه الأسئلة ستحدد الإجابة الرئيسية وهي هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر به الإنسان يتعارض مع إقرار الإسلام لحرية كل شخص في السلوك والمعتقد؟. والإجابة على السؤال الأول لابد أن

يستحضر الشخص تعريف الحرية الفردية والمعيار الثالث من معايرها , وهي لابد حتى تكون الحرية حرية ذاتية لابد أن تكون لها نتيجة جيدة للفرد والمجتمع , فإن كان ينتج عن حريته ضرر له ولمجتمعه فهذا مبرر جيد أن يتدخل الإنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم ليوضح مغبة تصرفات الشخص على من حوله وعلى نفسه بالذات , بل إن استمر الشخص ولم يستجب لابد من تدخل سلطات عليا في المجتمع سواء أكانت المستشفيات أو المحاكم لإيقاف الشخص عند حده , فحرية الشخص تتوقف عندما تبدأ حريات الآخرين , وقد يختلف تقيم الضرر من شخص لشخص وهذا يعتمد على المرجعية التي يستند عليها المرء , فإن كان ضررا لا حسيا ولا معنويا , أي ضرر غير ملموس , كالأضرار الغيبية من عقاب في النار أو في الجنة , ففي هذه الحالة لابد للنصح أن يكون بطريقة غير مباشرة ,بخلاف الطريقة المباشرة في الضرر الملموس ,ومن أمثال هذه الطرق الغير المباشرة هي أن يدعوه لحضور محاضرة , أو يقوم بإهدائه هدية أو كتاب ما , أو يلفت إنتباه بصورة راقية إلى موضع الإختلاف بينهما , وعادة هذه الطريقة لا يجيدها إي إنسان , بل هناك المتخصصين من علماء النفس والدعاة والواعظين.

الجنس

تفاجأت وأنا أقرأ أحد روائع جورج أورويل روايته 1984 , أنه جاء على لسان أحد شخصيات الرواية وهي جوليا في حوار لها مع حبيبها تقول :"عندما يمارس المرء الجنس فإنه يستنفد قواه ويستشعر نوعا من اللذة تجعله لا يأبه بعدها بشيء ,وهم لا يرغبون في ذلك –الحزب-لأنهم يريدونك أن تكون شعلة من النشاط طوال الوقت ,وليست كل هذه المسيرات التي لا تهدأ وما يصاحبها من هتافات وتلويح بالرايات إلا تنفيسا لطاقة جنسية مكبوتة , فلو كان المرء مبتهجا في قرارة نفسه فما الذي يدفعه بالاهتمام بالأخ الكبير وبالخطط الثلاثية ودقيقتي الكراهية والبقية الباقية من تراهاتهم اللعينة" , حقيقة استوقفني هذا الكلام كثيرا وجعلني أمعن النظر والتأمل فيه متفكرة حائرة مبهورة بالمعنى الرائع والحقيقة المبدعة التي صرح بها الروائي على لسام أحد شخصيات روايته ,جعلني هذا الكلام أقارن بين شخصيتين رئيسيتين هما محور الصراع والمقارنة الدائمة في العالم أجمع وهي الشخصية الغربية الأوربية أو الأمريكية والشخصية الشرقية المتمثلة خاصة في الرجل العربي الإسلامي غالبا , دائما ما يلفت أنتباه الزائرين للعرب وللعالم الإسلامي أمر واحد مهم في شخصية الرجل الشرقي مقارنة بالرجل الغربي ألا وهي الفظاظة والحمية وحرارة الدم , أي أعني بحرارة الدم الأنفة والغيرة والعزة التي تجعل من الرجل الشرقي أشبه بقنبلة موقوتة تنتظر في أي وقت أن تنفجر فقط وذلك بأدنى مسبب أو حادث يحصل و يثير حفيظتها , والسؤال الذي دائما يطرح على موائد الحوارات المقارنة لماذا الرجل الشرقي حاد الطباع , فظ التصرفات , قوي في ردة فعله , سهل الاستثارة مقارنة بالرجل الغربي اللين الجانب , الهادئ في معظم الأوقات , الذي يصعب استثارته وإخراجه من طوره في أحايين كثيرة , والذي تختلف ردة فعله كثيرا عن الرجل الشرقي في حالة المساس بأموره الحساسة والخاصة التي لها قداسة وهالة خاصة في حياته. كلنا يعرف طبيعة الحياة الغربية المنفتحة جدا ,

والحرة حتى في حياته الجنسية ,حرية مطلقة تامة لا يقيدها أية قيد , حتى أن المثليين بدأوا يحصدوا أغلب الأصوات مع حقوقهم في ممارسة شذوذهم , فكيف بالعلاقات العادية الثنائي بين الرجل والمرأة التي لا يحدها ولا يؤطرها إطار ما , في حين نجد أنه في العالم الشرقي لا يوجد شيء أصعب من لفظة الجنس في قوانينهم , لكونه حالة مقدسة لابد حتى تتم أن تتم وفق أطر وظروف مهيئة ومناسبة ووفق شروط ينص عليها دينهم الحنيف أو كتابهم المقدس. هل كلام جورج أورويل يعلل الحقيقة التي نتعجب منها أحيانا ؟ هل يقترب من الحقيقة ولو قليلا , هل فعلا بإمكانه أن يقدم تعليل مناسب أم ان الموضوع ضربا من الخيال. هل بإمكان أن يكون الجنس سلاح تستخدمه دولة ما من ضمن سياساتها لتهدئة الشعب أو تحقيق ثورته ؟ هل حقا هناك رابط بين كل هذه الأمور؟ هل توجد شواهد من التاريخ على هذا؟ هل استخدم أحد القادة سياسة ما كان من ضمنها إفساد طاقات الشبيبة وتبديدها بإشاعة الرذائل وإزالة أطر الجنس ومحدداته ؟ كلها أسئلة تعجبية استقصائية تبحث عن إجابة بقدر ما هي متيقنة شبه جزئيا بأنها قد تكون حقيقة.

قد يدعي مدع ويقول أن طبيعة العرب الجافة الغليظة قد لا يكون سببها كما تفضلتي , بل لأسباب أخرى خارجية لا دخل لها بطبيعة الإنسان , وهي أسباب غالبها تتعلق بالبيئة والظروف المناخية القاسية التي جعلت من الإنسان العربي إنسانا صحراويا قسوته كقسوة الصحراء , فهذه الفظاظة استمدها من بيئته ومن أنماط تربيته , وللإجابة على هذا السؤال ينبغي أن ندرك أن هناك ثمة علاقة فعلا بين طبيعة البيئة التي يعيشها الإنسان وطبيعة الإنسان السلوكية , وهذا التأثير تأثير عميق جدا , لأنها تجعل من الإنسان شخصا همه الأساسي هو كيف يبقى حيا , وكيف يضحي بكل شيء من أجل البقاء , ويكون الإنسان عادة في مثل هذه البيئات في قاعدة هرم موسلو , وهو على خلاف الإنسان الذي تربى في دول أوربية أو غربية بوجه العموم , في الصحراء الأرض قاسية جدا , وفظة لا تعطي خيراتها بسهولة , بل لابد من العمل الشاق والجهد المضنى حتى يتمكن فيها الإنسان من العيش , فتجعل إهتمام الشخص بالأمور الثانوية من العاطفة والحنان والجنس أمرا في غاية

الصعوبة والمشقة , لأنه لم يصل إلى تلك الرفاهية التي تمكنه من الإهتمام بهم وإعطاهم حقهم الكافي , ولأن تلك الأمور كلها تؤثر في جسم الإنسان نظرا لأنها تساعد وتحفز إفراز الكثير من الهرمونات التي تجعل الإنسان يشعر بالراحة والمتعة والسكون والخمول , وكل هذه الصفات غير مرحب بها في بيئة صحراوية شرقية مثل أغلب البيئات في العالم الشرقي. لذلك فالإعتراض على الفرضية التي طرحتها في البداية هو اعتراض يصب في الأول والأخير في صالح القضية نفسها ويكاد لا يخرج عنها.

الملابس والأخلاق!

قد يجد أعداء الإسلام أو لنكن حيادين قليلا ولا نلقي الكلام بدون دليل فنكون كمن صب النار على الزيت , لذلك سأقول المخالفين لبعض الإسلاميين يرون أن مسألة الأخلاق مسألة صعبة جدا , فهي تحتاج إلى نظرة فلسفية فكرية عقلانية لتحليلها وتفكيكها حتى نستطيع الحكمة من خلالها على سلوكيات الناس وأفعالهم إن كانت وفق الأخلاق أم لا , لن نتطرق لما قيل في فلسفة الأخلاق , فالأمر معقد كثيرا ويحتاج إلى تفاصيل دقيقة ونظرة ممعنة ومتفحصة للسلوك بحد ذاته حتى نحكم عليه أن سلوك خلقي أم لا , ورغم أن الكل يعرف أن الإسلام دين جاء ليتمم مكارم الأخلاق ويؤكد عليها ويحث الناس على إتباعها والتمسك بها وذلك من خلال أوامره سواء القرآنية أو التي جاءت السنة المطهرة بها , ولا يختلف اثنان أن الدين الإسلامي دين أخلاق , ولكن عندما نقول أنه دين أخلاق فهذا لا يعني أن غيره من الأديان غير أخلاقية أو أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد المحصور في إتباع هذه الأخلاق , فالأخلاق منها ما هو فطري تعرفه الفطرة السوية الحسنة التي لم تشوبها أية شائبة , ومنه ما هو ثابت بالتجربة والممارسة , وحاشا الإسلام أن يأمر بشيء من الأخلاق لم تكن ذات معنى أو هدف ومضمون من فعلها , فكل الأخلاق التي أمر بها الإسلام وحث عليها إما أنها أخلاق تعرف ويهتدي إليها بالفطرة والذوق السوي أو أنها جاءت متعارف عليها نتاجا للخبرة والتجربة المتمرسة نظرا لأثرها الطيب في قلوب الناس , إلا أنه في القرون الأخيرة في عصر الحداثة والتنوير جاءت أفكار غريبة كثيرا جعلت تعصف بالمسلمين وتفتنهم عن دينهم , وهي فيما يتعلق بعلاقة الأخلاق بملبس الشخص وهيئته , أي هل هناك علاقة بين ملابس المرأة أم الرجل وبين أخلاقه ؟ هل فعلا أن الملابس تعكس أخلاق الشخص ؟ وإذا كان فعلا ثمة علاقة فما الدليل عليها عقليا ؟ وما نوعية هذه العلاقة ؟وهل هذه العلاقة مطلقة تصلح لكل البشر , أم أنها مرتبطة بعوامل أخرى من الزمان

والمكان؟ وهل هذه العلاقة موجودة في الإسلام فقط , أم أنه علاقة يقر بها الذوق السليم أو التجربة والخبرة؟!

لنجيب على هذه الأسئلة لابد أن نعرف الأخلاق أولا تعريفا ميسرا بسيطا , الأخلاق وفقا لخبرتي وممارستي العملية للحياة هي مجموعة من السلوكيات أو الأقوال تصدر عن المرء بصورة مستمرة حتى تصبح طبعا له وتكون قابلة للمدح أو الذم وتؤتي نتائج إما حسنة إن كانت الأخلاق حسنة أو سيئة إن كانت الأخلاق سيئة, فالوفاء خلق حسن قابل للمدح وعكسه الخيانة وهي خلق سيء قابل للذم , وهكذا لبقية الأخلاق , والخلق لا يكون خلقا حتى تتعود النفس على فعله فتصبح تقوم به لا شعوريا وتلقائيا دون الحاجة إلى تفكير وإجهاد العقل في كل موقف يحصل لها , فمن يتكلف الكرم لا يمكن أن يقال عنه كريم حتى يصبح الكرم طبعا يقوم به ويمارسه لا تلقائيا في معظم مواقفه التي يصادفها , وإذا جئنا لملابس الشخص لنحدد إذا هي من الأخلاق أم لا , نجد أننا أمام معضلة كبيرة جدا , وهي هل الستر خلق قابل للمدح أو الذم ؟ وإذا كان كذلك فما هي حدود هذا الستر؟ وعلى أية مرجعية نحدد معاير الستر القصوى التي لا ينبغي للإنسان تجاوزها. الكل يؤمن وفقا للفطرة السوية أن هناك مناطق معينة في المرأة والرجل لا ينبغي كشفها أو تعريتها أمام الناس , لأنها مخلة بالذوق العام السوي الذي هو أحد معير تحديد الأخلاق , لأن النفس تشمئز من تعريتها ولا يوجد أحد في وجه هذه البسيطة يعترض على هذا إلا أصحاب الأذواق المختلة المريضة التي تحتاج أن تعالج في مستشفى المجانين , ولكن ماذا عن بقية أجزاء الجسم , ما هو المعيار الذي يحدد الأجزاء التي ينبغي أن تغطى أو الأجزاء التي ينبغي أن تكشف مثلا وهل كشفها أو عدمه خلق ينبغي على صاحبه المدح أو الذم , وهل فعلها أو عدمه يؤتي نتيجة سيئة أو حسنة, وللإجابة لابد أن نحدد المعاير التي تحدد ما ينبغي أن يكشف أو لا يكشف وأرى أن المعيار أحيانا لا يعتمد على الجزء المكشوف بحد ذاته بقدر ما يعتمد على الزمان والمكان الذي كشف فيه الجزء , أي فيما معناه ما هي الظروف المحيطة بكشف هذا الجزء أو ما هي الأجواء أو الموقف الذي تم فيه الفعل , إذا كشف بقية

الأجزاء غير العورات المتفق عليها يعتمد الحكم على فاعلها اعتمادا على الظروف الملابسة للموقف , وكذلك لنية الشخص الفاعل أي ما غرضه من هكذا فعل؟, والأمر الآخر يعتمد على النتيجة المترتبة على مثل هذا الفعل , فليس من المعقول أن نحكم على أمر أنه جيد وفي المقابل ينتج عنه الدمار والهلاك أو الفساد , والإنسان مطالب بقدر الإمكان أن يدفع هذا الفساد بقدر ما يستطيع .

لذلك الملابس قد تكون خلق فعلا –بناء على التحليل السابق – وقد تكون أيضا نتاج عن خلق آخر-وفقا للنية والغرض من هذا اللبس , فكم من حاكم ووزير سياسي وقع في براثين أنثى بسبب ملابسها وسلمها جميع أسراره السياسية ونتج عن هذا انهيار سياسة دولة بكاملها, ومن شاء أن يتأكد فليراجع كم من مغنية مشهورة أمست بين عشية ليل وضحها مقتولة بحد السكين على عنقها , وذلك لامتلاكها لأسرار سياسية من أحد الذين عاشرتهم , ولنسأل أنفسنا لماذا وقع في براثين هذه المغنية ولم يقع في براثين غيرها؟ والإجابة سيعرفها الموساد الإسرائيلي كثيرا التي صرحت وزيرة خارجيته قبل عقدين أن ممارسة الجنس مع الحكام من أجل الحصول على المعلومات مباح عند اليهود.

فاصل 4

اتمنى أن أعشق رجلا ، أنتهك معه كل محرمات العالم!

جنة الأرض

كل الديانات السماوية التي جاء بها الرسل جات لتدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى الحب , ذلك الحب الذي يسمو بالنفس ويجعلها ترى الوجود بصورة أجمل , محبة الله تعالى هي التي تبني محبة الناس , فمن عود نفسه على أمر , فإن النفس تعتاد على فعله في جميع حالاتها وتقوم بإسقاطه على مختلف الحالات , لذلك من عبد الله لأنه يحب , أحب تبعا لذلك تعاليمه , ومن أحب تعاليمه نفذها ومن نفذها وجد في طياتها محبة الناس أجمعين , والحب هو أساس إجتماع الناس وتآلفهم وهو أساس تكون الجماعات والفرق , والكره والبغضاء هو أس الهدم وتقطيع الأوصال وتشتت البنية وغلبة النزعة الفردية , كلما تعود الناس على عمل الجماعات كلما زادت الصفات التي يكتسبوها وتؤهلهم إلى تقوية هذه الروابط , وكلما زادت رغبة الإنسان في الحفاظ على أخيه الإنسان , وكلما زاد دفاعه عنه , فأصبحوا جسدا واحدا, إذا إشتكى طرف منه بالحمى تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى , إذا الجماعة تروض الأخلاق ومكارمها , ومعظم الأخلاق المتعارف عليها إنسانيا هي أخلاق تهدف لحفاظ على روح المجتمع , والسعي الحثيث لبنائه وتحقيق سعادته وراحته , فيتألم الفرد لألم الآخر , ويحزن لحزن الآخر , لأن العشرة الجماعية تعلمه كيف يضع نفسه مكان الآخر , وتلقنه بفضل التجربة والخبرة أحاسيس وردات فعل الناس من حوله حول تصرف وسلوكه , لذلك هو دافع نحو التحسين والتطور , والسعادة الأبدية لا تتحقق إلا بتكاتف الكل نحو تحقيق مصالحهم و إذا الديانات السماوية جاءت من أجل خلق جنة على الأرض , وليس فقط إنتظار جنة الآخرة.

كثيرا ما نرى معارضين يحتجون على أن أساس الدمار والخراب الذي يتعرض له البشر هي الأديان , فهي أفيون الشعوب و ومخدر العقول , ومحرض على الرؤية المفردة الصحيحة , لذلك الدين لا يخلف إلا الدمار , ولا يرشد إلا إلى العنف والشدة , وهذه إدعاءات باطلة لا أساس لها من الصحة , لأن الأديان تدعو إلى الإستسلام

نعم ولكن الإستسلام لا يكون إلا لله وحده , وتحث على رتق التبعية وخاصة تبعية الآباء والأجداد , فهو إستسلام مقيد وخاص وليس عام كما يظنون , والدمار والخراب ناتج عن تبعية الأفراد وخضوعهم للقوانين البشرية وليس للقوانين الإلهية , لأنها لو كانت تخلف الدمار والخراب لما إزدهرت بعض الحضارات بفضل الدين في حقبه ما وتراجعت في حقب أخرى , عندما تغير فكر البشر وأختلفوا وزادت تبعياتهم لغيرهم.

هل الإسلام دين برجماتي؟

البرجماتية كأيدولجيا ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشروهي مشتقة من كلمة يونانية تعني العمل , أما البرجامتية فلسفيا هي مذهب يرى إن صدق الآراء والأفكار إنما في قيمة عواقبها عملا , والبرجماتي هو وصف لكل من يهدف إلى منفعة خاصة أو نجاح ما .أي قيمة الفكرة لا تكون صادقة ولا جيدة إلا إذا كانت لها نتائج فورية منفعية عملية , حقيقة أن ظهور مصطلح البرجماتية كان على يد ثلاثة من كبار الفلاسفة هم بيرس وجيمس وجون ديوي, والفرق بين نظرة بيرس وجيمس للبرجماتية إلى أن جيمس وسع من مفهوم النتائج , وجعلها مثل بيرس نتائج مباشرة بالإضافة إلى النتائج غير المباشرة مثل الآثار الوجدانية. ولقد قسم هؤلاء الفلاسفة البرجماتية إلى ثلاثة أنواع تبعا لميادينها فمنها البرجماتية الإنسانية والبرجماتية التجريبية والبرجماتية البيولوجية , وكل منهم يدل اسمه عليه , فالإنسانية تهدف إلى تحقيق متطلبات وغايات الإنسان والتجريبية هي التي ترى أن الحق هو الذي بالإمكان تحقيقه تجريبيا ,أما البيولوجي هو الذي يساعد الكائن العضوي على التأقلم والنمو فهو برجماتية بيولوجية. بإمكاننا القول أن البرجماتية قامت على أسس ومبادئ منها القطيعة مع الماضي والتجربة. للاستزادة عن الفلسفة البرجماتية بالإمكان الرجوع إلى كتاب الدكتورمنصور الحجيلي بعنوان :"البرجماتية , عرض ونقد".

ما أثار دهشتي وأنا أقرأ لصاحب هذا الكتاب أنه يعد أن البرجماتية استهتار واضح بالدين , لكونها تركز على المنفعة الناتجة من تطبيق أحكامه فقط وتتناسى المقاصد والمعاني السامية , حيث تجعل المصلحة من المجتمع مجتمع غاب ويفقد قيمه الأخلاقية والدينية .هل حقا هذا هو أثر البرجماتية؟ هل فعلا هذه هي إنعكاساتها وآثارها على الدين؟ حقيقة تعجبت كثيرا من الوصف القاسي لآثار البرجماتية بهذه الصورة , وعندما رجعت وحللت التحليل السابق الذي أدرجه صاحب الكتاب

للبرجماتية , وجدت مربط الفرس , النقطة الذي يدور حولها كل هذا الخلاف , وهي "المنفعة" , هل حتى تكون برجماتيا لابد أن تكون "المنفعة" مادية؟ هل لابد أن تكون "المنفعة" فورية لحظية ؟ هل لابد أن تكون "المنفعة" مادية ؟ ماذا عن المنافع "الوجدانية" التي تطرق لها جيمس , هل كل المنافع التي يطلبها الإنسان في حياته والتي تحقق له حاجاته ومتطلباته الأساسية هل هي منافع مادية بحتة؟ ماذا يقول علم النفس في هذا ؟ هل من آمن بفكرة لأنها تحقق منفعة لكن منفعة أو مصلحة غير مادية هل لا يعد برجماتيا؟!التعريف الذي أدرجه الدكتور لكل من الفلاسفة الثلاث لم يحدد ما هو نوع المنفعة وما هي طبيعتها وما علاقتها بإحتياجات الإنسان , بل توقف عند ذكر منفعة , ولا أدري من يرى أن الدين الإسلامي دينا نفعيا فعلا هل يعد برجماتيا أم لا؟

حقيقة أنا أؤمن بالإسلام لأنه دينا نفعيا في الأول والأخير , والمنفعة التي أنتظرها من الإسلام لها أنواع مختلفة بإختلاف الفكرة التي أعتقدها , فالمنفعة قد تكون وجدانية مثل سعادة الآخرين , فعندما تقوم بتقديم مساعدة للآخرين فهذا ينقص من مالك صحيح , أي أنك تخسر جزء من منافعك ومواردك الاقتصادية , ولكنه في نفس الوقت يمنحك منفعة أخرى وهي الراحة والسعادة والطمأنينة والفرح أنك شاركت أحدا مصيبته , وعلماء النفس يؤيدون هذا , بل يبرهنون على صحته بالأدلة الدامغة , ففي هذه الحالة ماذا يكون موقع فكرة مساعدة الآخرين؟ فهو يمنحك منفعة ويأخذ منك منفعة أخرى ؟ كيف نقيس نفعية الفكرة في هذه الحالة؟ وخاصة أن المنفعة المعطيه والمنفعة المأخوذة ليست من نفس النوع , أي أنهما من نوعين مختلفين , فليس بالسهولة حساب المحصلة في مثل هذه الحالة.

إذا التعريف الذي أدرجه الفلاسفة عن البرجماتية تعريف مبتور , فالمنفعة أمر كبير ومجال رحب جدا , وقد تكون منفعه دنياوية أو منفعة أخراوية , فأنا أؤمن أني لو تصدقت مثلا سأحقق منفعة ما لنفسي وهي أنا الله سيضاعف بها حسناتي , والحسنات مثل الدرجات , كلما أزدادت درجاتك كلما أزداد نعيمك في الآخرة , إذا

هناك منفعة بعيدة المدى أخراوية , وهناك منفعة قريبة المدى دنياوية , وهذه المنفعة الدنيوية قد تكون مادية وقد تكون نفسية وجدانية , فالدواء الذي يتعاطعه مريض الصرع ذو منفعة نفسية وجدانية , ومسكنات الألم كلها أدوية لتسكين آلام لا ترى ولا تلمس , فقط يشعر بها , فهل التداوي بالدواء أمر برجماتي أم لا؟.

نهاية العالم

هل نهاية التاريخ مسببها الله وحده أم البشر؟

هل سينتهي العالم تدريجيا أم فجأة؟

هل لنهاية العلم علاقة بنهاية العالم؟

متى سينتهي العلم؟

ما سبب نهاية العلم؟

ماذا سيحدث لو انتهى العلم؟

هل لحدود قدرات البشر علاقة بنهاية العلم؟

ما هي حدود قدرات البشر؟

هل سيثبت العلم عندما يصل للنهاية؟

هل هذا يعني أن للعلم نهاية ثابتة؟

ما هي هذه النهاية الثابتة؟

هل سيتفق البشر على هذه النهاية الثابتة؟

لا يوجد خالد إلا الدين , هل الدين علم , هل

هو له علاقة بثبوت العلم؟ هل هذا يعني أن

لا حقيقة أكبر من الحقيقة التي وضعها

الله؟

هل نحب عدونا أم نكره؟

دعونا نستهل مقالتنا هذه بمقولة توماس هوبز الفيلسوف الشهير:"العالم مليئ بالذئاب" وفي نفس الوقت نعرج على نظرية كروبوتكن التي تقول في ما معناه: "الناس بغريزتهم يؤثرون الغير على غيرهم ولكن لم يصبحوا أنانيين إلا بتأثير النظم الإجتماعية السيئة التي عاشوها في ظل النظام الرأسمالي " , ونستحضر بجانبهما ما ورد في إنجيل المسيح حسب البشير متى : "سمعتم أنه قيل: تحبُّ قريبك وتبغض عَدُوَّك. وأما أنا فأقول لكم أَحِبُّوا أعداءَكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغِضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئُون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السماوات. فإنه يشرق شمسهُ على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنهُ إن أحببتم الذين يحبونكم فأيُّ أجرٍ لكم. أليس العَشَّارون أيضًا يفعلون ذلك. وإن سلّمتم على إخوتكم فقط فأيَّ فضل تصنعون. أليس العَشَّارون أيضًا يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل". , كل هذه الأدلة تجعلنا نطرح سؤالا مهما هل وهو هل المفروض أن نحب عدونا أم نكره؟على أي أساس نختار؟ ومن يحدد هذه الأسس؟

بداية قبل أن نجيب على مثل هكذا سؤال لابد أن نسأل أنفسنا من هو العدو في نظرنا ؟ أو متى نعتبر الإنسان الماثل أمامنا عدو لنا ؟ والإجابة على هذا السؤال ليست بالسهولة بمكان لأن مفهوم عدو مفهوم مرن ومطاطي يختلف من شخص إلى آخر بإختلاف المعايير التي يحددها الشخص والتي تشكل شخصية العدو في باله أو ذهنه , فمن قد يكون عدو في نظر جاهل أمي , قد يكون صديق أو مخلص في نظر مثقف وعالم , فمثلا الناقد الذي ينقد عمل الفرد أو قوله قد يعتبره شخصا أنه شخص يود تشويه صورته وسمعته أو يحبط عمله أمام الناس , في حين يعده شخصا آخر أكثر ثقافة من الأول شخصا يكشف عن نواحي النقص ليشجعك على تحسين أفعالك

أو أقوالك في المرة القادمة التي تفعل أو تقول عملا يشبه ذاك العمل , إذا من هذا كله بإمكاننا تعريف العدو على أنه شخص يهدد مصالحك بأي طريقة كانت سواء تهديدا مبطنا أو ظاهرا أو بصورة قولية أو فعلية , ولذلك يختلف تحديد العدو من شخص إلى آخر , لأن المصالح تختلف وتتفاوت من شخصا إلى آخر , وبناء على هذا بإمكاننا أن نستنتج أيضا أن العدو قد يكون بدرجات , أي لا يوجد هناك عدو مطلق وصديق مطلق , بل أن العداوة قد تكون بدرجات متفاوتة , فقد يكون شخصا واحدا بتصرف واحد عدو وغير عدو في نفس الوقت , لأن فعله يحتوي على درجات متفاوته من تهديد المصلحة , ولابد أن نوقن أنه لا نقيض لكلمة عدو , وليس كما يظن الكثيرون أن نقيض العدو الصديق , بل هذا خطأ تماما , فالصداقة لا تقوم على مصلحة , لأنه بناء على تعريفنا للعداوة سيكون الصديق هو من لا يهدد مصالحك , أو من تحصل على منفعة وتحقق مصلحة من صداقته , وعندها سيكون مفهوم الصداقة مفهوم مادي بحت , لذلك العدو مفهوم مستقل لا نقيض له.

يقول نيتشه في رواية عندما بكى نيتشه : "أنا لا أكره مرضي , فالمرض نعمة بالنسبة لي و لأن الضربة التي لا تقتلك تقويك" , كلام جميل يجعلك تتسأل هل العدو الذي لا يقتلك يقويك؟ هل نحب العدو لأنه يمنحننا فرصة أن نكتشف الخلل والنقص الذي يرافقنا ونتخلص منه ؟ هل الأولى أن نحب أعدائنا أم نكرههم؟.
وللإجابة على هذا السؤال نقول , لابد للإنسان أن يوقن أن العداوة أحيانا لا تورث غير المرض والهم والحزن وكل الأسقام التي تؤثر سلبا على صحة الإنسان وبدنه وعقله , بل أنه تسبب دخول الإنسان في فورة غضب , قد تؤثر على قرارات الإنسان وتجعله يتخذ أمور لا تحسن عاقبتها , فيبيت موغر الصدر , مهموما , يتنى لو يسعفه الدهر فينتقم من عدوه ويقتله ويمزق أحشائه , فينشغل بعدوه عن نفسه , وتنصرف طاقاته إلى الرغبة في هزيمة العدو , عوضا عن الرغبة في الإنتصار على المخاطر , فتتبدد طاقاته وقدراته هباء , فالإنسان أحيانا كثيرة لا يستفيد من سحق أعدائه أكثر من استفادته على الإنتصار على المخاطر التي تحدق به , أما إذا كنت المخاطر سببها أعدائه وعداوتهم فإن كره لهم لن يقدم ولن يؤخر في المسألة ,

ولن يحقق له نصرا مبينا عليهم , لذلك نكرر ونقول نحن لا نكره أعدائنا لن الضربة التي لا تقتلنا منهم فإنها تزيدنا قوة , أما إذا قتلتنا ضربتهم فلا مجال لكرههم أصلا لأنه سنكون حينها ميتين.

أحيانا كثيرة ولبعض الناس فإن الكره والحب يحفز الإنسان على العمل والإنتصار , وهذا كلام معقول لأن الإنسان منظومة متصلة من الفكر والوجدان والبدن , وما يؤثر على فكر الإنسان قد يؤثر على تصرفاته وسلوكياته إيجابا أم سلبا , فقد يحفز الكره أحيانا مقاتلة العدو , ويحفز البسالة في المعركة , هذا إذا كان الأمر يتعلق بالبدن والسلوك كقوة لازمة لدحر العدو , أما إذا كان المطلوب فقط هو الفكر , فلا حاجة لكره العدو لأن الكره لن يفعل شيء غير أن يكون عائقا لنا من التفكير بصورة جدية في الموضوع.في النهاية لابد للإنسان حتى يقرر أيكره عدوه أم يحبه , لابد له أن يرى موقع نفسه وحالتها وتأثير كلا من الحب والكره عليهما.

هل الكذب شر محض؟

الصدق هو مطابقة القول الشيء المخبر عنه والضمير معا , فلو قال منافق مثلا : الإسلام هو الحق , فهو مطابق للواقع فعلا ولكنه غير مطابق لضمير القائل , لذلك هو كذب , وطالما أن الصدق مشقة لهذه الدرجة فإنه يستلزم القوة والإرادة والعزيمة وإحتمال عواقب الصدق , ونقيض الصدق الكذب , وكثيرا ما تذكر الكتب الدينية أن :"الصدق أس الإيمان , والكذب أس النفاق , والصدق والكذب لا يجتمعان في إنسان معا " وتعلل هذا القول أن المؤمن صادق لأنه يخاف من مغبة لبس الحق بالباطل وتزوير الحقيقة للناس , لأنه يحب الناس محبا لمصالحهم , وكما أنه لا يخاف من أن يدرك الناس لما في ضميره , أما المنافق فهو جبان حقير أناني , لا يفكر سواء بنفسه , لذلك قيل :"الصدق هو قول الحق في مواطن التهلكة" , وقيل :"كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة". وكثيرا ما تحدث الناس عن مساوي الكذب وشروره وسيئاته عن طريق كتبهم ومؤلفاتهم حتى ليخيل إلينا أن الكذاب هو أشر الناس وأسوئهم أخلاقا وأقلهم علما وحظا من حظوظ المعرفة , ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الكذب شر محض؟ هل الكذاب إنسان حقير أناني منافق دائما ؟ هل الكذب مرض طبعي أم أنه عارض ووسيلة تستخدم للوصول لهدف ثم بالسهولة التخلي عنها وتركها؟

قد تتنوع أسباب الكذب , ولكن يمك تصنيفها تبعا لمعيارين أحدهما : السبب والآخر النتيجة , فقد تتعدد أسباب الكذب وتتنوع مسبباته فمنها ما يكون سببا طبائعيا أي أن الكذب أصبح طبعا في المرء وخلة من خلاله لأن المرء تعود على الكذب لكثرة ممارسته له أو كثرة تعرضه لمواقف أجبرته على الكذب إراديا أو غير إراديا فأصبح لا شعوريا أو لا تلقائيا ينطلق لسانه بالكذب كمهارة أو حرفة أتقنها فأصبحت مهنة جيد ة له , أو أن يكون سببا عارضا أي أنه غير متعود على الكذب ولكن طرأ

عليه طارئ استلزمه أن يكذب , وتوجد أسباب أخرى تدفع للكذب مثل : أن يدفع أو يرغم الإنسان على الكذب , كأن يتعرض لموقف تدفعه البيئة الخارجية على الكذب في حين يكون في قرارة نفسه غير مؤمن وغير سعيد بهكذا قرار , هذا فيما يتعلق بالكذب كسبب , أما إذا ذهبنا للكذب كنتيجة فإنه إما أن يكون كذبا في مناطق محمودة النتيجة أو في مواقف مذمومة النتيجة , كأن يكذب المرء في موطن الحرب أو يكذب على العدو أو الخصم , وهذه الأنواع من الكذب من الأنواع التي حللتها الشريعة الإسلامية كدين ومنهج حياة.أما الكذب مذموم النتيجة فهو مثل الكذب الذي يروث الشقاق والعداوة والبغضاء بين الناس وتجعل الفتن تنتشر والشائعات تنتثر وتأكل كل مواطن الخلال الحسنة في الناس , والذي يوغر الصدور ويضيع روابط الألفة والمحبة بين الناس.

في أحايين كثيرة يجد الإنسان نفسه معرض للكذب بدافع خارجي أو داخلي لا لأنه يريد الكذب ويطلبه ويعشق أسلوبه ومنهجه بل لأن الموقف الذي يتحدث فيه وأدخل نفسه فيه أو أدخله الزمن عنوة هو موقف لا يتحمل أن تنثر كل ما تملكه من معلومات أو خصوصيات أحيانا دفعة واحدة , كأن يكون التصريح بمعلومة واحدة يجر للتصريح بمعلومات كثيرة تجعل خصوصياتك تتلاشى أو أن تنكشف خباياك كلها للناس , وأن تدخل في أمور لا يتطلبها الموقف ولا يتحملها , كأن تكون في موقف عمل رسمي مثلا , والأمر الذي تتحدث عنه مرتبط بحقيقة شخصية ذاتية إذا صرحت بها سيجر هذا إلى التصريح بأمور كثيرة شخصية لا تمت للموضوع بصلة , إذا إما أن يكون الموقف لا يتحمل كل هذه المعلومات أو أن يكون غير مهيئا أن يستقبل كل هذه المعلومات , ولكن بشرط أن تكون لديك الرغبة في التصريح بها متى ما كان الموقف مؤاتيا ومناسبا لك. والحل الأمثل لذلك لا الكذب , إن استطعت تجنبه , بل أن تلمح أن الموضوع لابد أن يتوقف هنا وإلا لجر لأمور أخرى لا تستطيع أن تدخل فيها , وإن تعذر عليك التوقف , فأدخل ولكن بمجاز ,بأقل كمية من الخسائر الممكنة , ولكن تذكر أن حفظ النفس والأهل والدين هي كل هذه الأمور التي لابد أن تقدم حين يخير الإنسان بين الكذب والصدق , فإن كان صدقه يؤدي

إلى تعريض حياته للخطر , أو تعريض أهله أو دينه فلابد أن يلجأ هنا إلى أسوب آخر أقل خسائر من سابقه. إذا بعد هذا الكلام كله هل بإمكاننا القول أن الكذب ليش شرا محض؟ أم أننا سنميل لأقوال البعض الذين يقولولن :"أصدق ولو على قطع رقبتي!!".

فاصل 5

حبيبي
ودي لو أوصل لقلبك..
ألمس وريده..
أبوس شراييه...
وأحط قطرة من دمي بدمك..

ودي لو أشل هموم نفسك
ووسع ضلوع صدرك
وأعطر روحك وجسمك

حبيبي..
ودي لو تحبني كثر ما أحبك!

الزواج التقليدي

دائما ما ينتشر بين أوساط الشباب الصراع الذي لا يتوقف أبدا طالما أن الذي يحكم الواقع العربي البحت وبخاصة الواقع الخليجي هو العادات والتقاليد والأعراف , المجتمع الخليجي الشاب لم يخرج بعد من معطف الأعراف , ولا يزال مجتمع قائم على التبعية في معظم الأمور , ربما لتماسك المجتمعات العربية الخليجية وخاصة البدوية تماسكا يجعله من الصعوبة العيش بمفردك وبحرية خاصة إذا كانت هذه الحرية تنتج شخصا مغايرا أو مخالفا لتوجهات الجماعة التي ربما تتهدد قوائمها بسبب الخيارات الحرة الفردية. دائما أمثال هذه الجماعات تتصدى للغزوات التي يتعرض لها الفرد الواحد طالما أن قراره جاء بموجب عرف متفق عليه اجماعا , أما إذا كان القرار فردي حر جاء خارج مشورة الجماعة فإن الجماعة تتبرى من تبعاته وتجعل الشخص بمفرده يقاسي ويعاني ويلات قراره ونتائجها , حتى إذا كان الموضوع موضوع فردي خاص يتعلق بحياة الفرد الشخصية التي تتعلق به نفسه ولذاته , لذلك نجد من الصعوبة أن نرى شخص شاب في مقتبل حياته يغامر في أمر يجعله منشقا عن الجماعة وخاصة في موضوع حساس لا يدري أحد نتائجة وعواقبها مثل موضوع الزواج , لذلك نجد الزواج التقليدي منتشرا في المجتمعات الخليجية أكثر من غيرها من المجتمعات العربية.على الرغم من الإختلاط المقرر في المراحل المتقدمة من حياة الشاب إلا أن الشاب الخليجي بسبب طبعه الجماعي يجعله شخصا من الصعب أن يتحرر ويختلط بسهولة بالطرف الجنسي الآخر , وخجل هذا الشاب يعود أساسا لتربية المجتمع والأسرة شديدة التحفظ التي تفرض الفصل بين الجنسين طيلة فترة طفولة الشاب , فيكون مبرمجا لا تلقائيا على الحياء وعدم القدرة على الخوض في مواضيع تخص الجنس الآخر , وخاصة أن رصيده

من المعرفة لا يزال في بدايته وضعيف جدا , لذلك يجده من الصعب عليه أن يتكفل بالبحث بمفرده عن شريك حياته ويجعل المهمة مناطه بأمه أو أحد أفراد عائلته , كما أن من الأسباب الأخرى التي تحفز الشاب على أن يلقي بأمر اختيار شريكه على عائلته هو عدم رغبته في تحمل مسؤولية فشل هذا الخيار لوحده ولمفرده , وعدم قدرته على تحمل القطيعة وأن يكون مفردا في حالة أن سلك طريق مغاير يتصادم مع مجتمه وتطلعاته , لذلك تجده يفضل أن يختاروا له على أن يختار هو بمفرده.وحقيقة لكل هذه الأسباب نجد أن أغلب الدراسات الاجتماعية تكشف أن الزواج التقليدي أكثر استقرارا لأنه غالبا يتم بمباركة الأهل وضمن العادات والأعراف السائدة , فثمن التغير باهض لا يرومه أي شخص وخاصة شاب في مقتبل العمر .ويرى الكثيرون أن معظم زيجات الحب تنتهي بالطلاق بسبب أن المحب يسمو بحبه لدرجة المثاليات ويجعله يطلبه في كل أمور حياته فيجعله في مرحلة انتظار التصرف المثالي فينتج عن هذا الأمر الانصدام بالواقع الذي يعايشه.كثيرون يرون أن الزواج عن حب زواج فاشل , وقد يكونوا منصفين أحيانا كثيرة لأن المحب غالبا يكون شخص متهور فمن تجرأ على كسر العادات والتقاليد والأعراف بسهولة وتخلى عن رؤية الجماعة دون الرغبة في التنازل فإنه يجعل منه شخصا بالسهولة أن يتنازل عن حبه إن لم يكن كما يريد فيلجأ مباشرة إلى أسهل الطرق وهي الطلاق.الإقتران الحقيقي قائم على الحب ولكن العشرة قائمة على التضحيات لذلك الزواج يفشل بحب دون تضحيات وتقديم تنازلات , وغالبا من تنازل عن الحب من أجل العادات يكون أقوى على التنازل أمام عيوب وأخطاء شريك حياته. شدتني مقولة قالتها إيلا ربة البيت في رواية قواعد العشق الأربعون :"هيا يا حبيبتي , في أي قرن تعيشين؟ ضعي هذا في رأسك , إن النساء لا يتزوجن من يحببن , بل يخترن الرجل الذي سيكون أبا جيدا , وزوجا يمكنهن الاعتماد عليه.فالحب إحساس جميل يأتي لكنه سرعان ما يتلاشى".هل حقا هذا ما يحصل؟ هل صحيح أن الحب يذهب ويتلاشى بمجرد الزواج . يا ترى لماذا؟ ما الذي يجعل من الحب فاترا بعد الزواج ؟ هل رتابة الحياة تجعله هكذا؟ أم أن التعرف على

عيوب الآخر تعريه من كل حسن فيظل شريكه لا يرى فيه غير القبيح؟ هل بإمكان الحب أن ينجو لو إقترن بزواج؟كلها أسئلة منطقية تحتاج إلى أسئلة واعية باحثة للإجابة عليها.

رغم كل هذا فلا يمكن التعميم في مسألة مثل هذه ولكن الأغلب هو هذا الذي يحصل , فالزواج لو جمع بالاثنين لكان أسمى وأرقى وأنقى , رغم أن لي فلسفة خاصة في الحب سبق أن ذكرتها وأيدتها بالشروحات وضرب الأمثلة وذكر الأسباب.

.

*لذة المغامرة

سأستهل مقالتي هذه بقول جرئ ويحتاج إلى الكثير من التأمل والوعي والإدراك للأديبة والناشطة الأمريكية هيلين كيلر :"الحياة إما أن تكون مغامرة جريئة أو لا شيء ".فلم تدع هيلين للحياة إلا طريقين فقط فإما أن تكون حياة ملؤها المغامرة أو أن تكون في ميزانه وحسب رأيه , لا شيء .فالمغامرة هي الإقدام على فعل أو عمل ما يكون من الخطورة والجراءة بحيث لا يستطيع فيه المغامر التنبؤ بنتائج عمله, وتكمن خطورة المغامرة في أن المغامر لا يعلم شيء عن نتائج المغامرة في نسبة الفشل فيها قد تعادل نسبة النجاح , بل قد يكون الفشل فيها مدمرا ساحقا يعيد الإنسان للصفر أو قد ينهي حياته كاملة .ولا يقوم بالمغامرة إلا الذين يتمتعون بقدر هائل من الإصرار والتحدي ,فالإصرار يجعل المغامر وإن فشل في مغامرته يجعله يعيد الكره مرات كثيرة ولا يكف عن التوقف حتى يصل إلى النتيجة التي ينشدها , سواء كانت هذه النتيجة منفعة تعود لذاته فقط أو منفعة عامة تعود إلى المجتمع بالخير والفائدة .ومن شروط المغامر أن يكون أيضا إنسانا يتمتع بقدر كبير من الثقة بالنفس , فالثقة بالنفس هي الدافع الرئيسي التي تجعل الشخص يقدم على شيء لا غير معروف النتيجة , لذلك فالمغامر نادرا ما يتأثر بآراء الآخرين ونادرا ما يلتفت إلى الإحباطات التي يوجها سوى من أسرته أو من نطاق أوسع منها فتجده إنسان عنيد متمسك برأيه لأبعد الحدود , بدليل إقدامه على عمل يعد مغامرة وبدليل تمسكه بها ,وقد تصبح عادة أو ميزة في الشخص فلا يتركها حتى يلقى حتفه أو يصل إلى القمة .المغامرة تحتاج إلى قدر كبير من الاستقلالية والعمل الحر الذي لا يكون هناك مسؤول عنه أشخاص كثر غير الشخص المغامر بنفسه وذلك لأن الارتباط تضاعف من النتائج المترتبة سوى كانت سيئة أو جيدة كما أنها تجر في نطاقها أناس آخرين غير مسؤولين عن هذه المغامرة , فالمغامر الذي لديه أسرة من أب وأم وإخوة , لابد أن يكون عمله بعيد عن نطاق أسرته حتى لا يجرها إلى ويلات ومشاكل لا

تتحملها ,فقد يكون الأب عاجز أو الأم كبيرة في السن أو قد يكون إخوته أناس من ذوي الاحتياجات الخاصة.

قد تكون المغامرة والتجربة انعكاس لنفس المعنى , ففي كلتا الحالتين النتيجة مجهولة , ولكن كلمة تجربة هي كلمة أعم وأخف وطئا في نتائجها من كلمة مغامرة , ولعل السبب الرئيسي في تخلف العرب المسلمين عن سائر الأمم المتقدمة هو افتقادها لعنصر المغامرة في نشاطاتها اليومية وذلك لعدة أسباب , بالإمكان إجمالها في نقطة واحدة عامة وهي الخوف , وهذا الخوف قد يكون خوفا من النتائج أو خوفا من ردة فعل الناس في حالة الفشل , ولعل ميزة المغامرة وعشق المخاطرة يشتهر بها الطبقة المثقفة أكثر من غيرها في المجتمع , لإيمانها الشديد بأهمية التجربة , ورغبتها العارمة في التعرف على نتائج مختلفة , فالنتائج المختلفة تصقل مهارات الفرد , وتنمي فكره , وتوسع مداركه , وتدخله آفاقا أكثر رحابة وسعة , فيها يكتسب ويتعلم أمور قد خفيت عليه , وقد يصل إلى نقاط تعذر على الكثيرين الوصول عليها.

نحن بحاجة لتعليم أبنائنا حبا المغامرة , وإن لم يكن جميعهم , فعلى الأقل نحاول نغرس حب التجربة واكتشاف المجهول في فكر الجيل الصاعد من الشباب , فلم يتقدم الغرب إلى لإيمانه الشديد بضرورة المغامرة , ولم يكتفوا بالإيمان فقط , بل العمل بها ومحاولة نشرها في بيئة المجتمع إما عن طريق الكتابات المتمثلة في الأدب والروايات والأشعار , أو عن طريق الأفلام , حيث تنفق الشركة الواحدة من شركات الإنتاج ملايين الدولارات على فلم واحد فقط مغامرة منها دون معرفة نتائج أو ردة فعل المشاهدين على هذه الأفلام ,أما في الوطن العربي فلا نجد ما ينفقه المنتجون على البرنامج الواحد يزيد عن الألف ريال مخافة الفشل أو عدم النجاح , وإذا استمر الوضع هكذا فلن يتغير العرب , ولن يقطعوا حتى ربع شوط الرقي والازدهار , فالمغامرة تجعل من الواحد مليون , وقد تحول من الصفر أصفارا بعدها الواحد.

وخير مثال على المغامرة هو ما يقوم به القاص والأديب الكاتب معاوية الرواحي , فتراه يتجول في ساحات المغامرة والتجربة ويخوض واحدة بعد الأخرى , وهذه حقيقة صفة من صفات العلماء والعباقرة الذين يسأمون من الحلول الروتينية والمشاكل اليومية ويحاولون اختلاق مشاكل أخرى أكثر تعقيدا , لأنهم يبحثون عن أكثر من حياة , فهم يبحثون عن المتعة والفائدة , فأن تدخل مغامرة بكامل إرادتك وقواك العقلية , أفضل من أن تبقى في مكانك تنتظر تعاقب الليل والنهار عليك , فهذا لن يزيدك شيء, سوى نقصان عمرك وتبدد أيامك ورحيل ثوانيك.

كلي آمال وتطلعات على أن يأتي الغد والمغامرون يملؤون الأرض بتجاربهم وأفكارهم ورآهم , وعلى أن أرى شباب أمتي في طليعة الأمم بمغامراتهم وفوائدهم التي اكتسبوها , حتى يصنعون من الغد غدا أجمل إشراقا بنور علمهم ونتائج مغامراتهم.

*تم نشره سابقا في موقع سبلة عمان الإلكتروني

*متى تكون منجزا؟

داخل كل واحد منا مهما اختلفت قدراته وميولاته وطاقاته ,منجم من الذهب ,وربما أغلى منه , فمنجم الذهب الحقيقي ينضب ويذهب وله أمد محدد , أما مناجم الذهب التي بداخل كل إنسان فهي مناجم لا حد ولا أمد لإنتاجيتها , متى ما عرف الشخص كيف يستثمرها بالطريقة الأمثل التي تدر عليه أرباح قد تزيد من أرباح الحصول على بئر نفط أو منجم من الألماس أو الأحجار الكريمة , وحتى يتضح هذا المثال نأتي بمثال وهو إنجاز الفيس بوك الذي ابتكره المبرمج الأمريكي اليهودي الصغير.. مارك زوكربيرغ....حيث تقدر ثروته بالبليون ناهيك عن ثمن الفيس بوك الحالي والذي تعدى قيمته العشرة مليار دولار وهذا الرقم في حد ذاته يتجاوز القيمة الإنتاجية السنوية لأكبر آبار النفط في سلطنة عمان.

قبل كل إنجاز لابد للإنسان أن يكتشف قدراته ويحددها, ويعرف مكامن القوة والضعف فيها , فيظهر القوي منها بكل ثقة , ويقوي الضعيف منها بشتى الطرق المتاحة والوسائل , وعليها أن يسعى في إيجاد هذه الطرق ليتوصل لحلول مناسبة تأخذ بيده من الضعف للقوة ومن القوة للظهور ومن الظهور للإنجاز , فمتى ما تعرف الإنسان على قدراته وطاقاته كان من السهولة بمكان أن ينتقل إلى مرحلة الإنجاز والعطاء , فيبذل قصار جهده لأن يكون رقما يعتد به في كل محفل وحرفا ينطق به في كل حديث وقد يتم اكتشاف هذه الطاقات الكامنة والظاهرة إما بالجهود الذاتية ,كأن يلاحظ الشخص نفسه ما يستطيع القيام به فيقويه , أو عن طريق الجهود الخارجية , أي من الأشخاص المحيطين به , فينبهونه ويثنون على مواهبه ويأخذون بيده نحو السعي لتطويرها وصقلها وإظهارها بالصورة المطلوبة ومتى ما أجتاز الشخص مرحلة استكشاف واكتشاف مواهبه فإنه يكون قد هيئ نفسه للمرحلة الأصعب والأشق وهي مرحلة الإنجاز.

اختلف علماء النفس والمتخصصين في دراستها في تعريف معنى الإنجاز , وأراهم كلهم وإن اختلفوا في بعض النقاط الجوهرية فإنهم اتفقوا في المحور الأساسي الذي يدور حوله مفهوم الإبداع والعنصر الرئيسي الذي لا يعد الإنجاز بدونه إنجازا ومن أهم العناصر الأساسية للإنجاز هي :النجاح والتفوق علاوة على ضرورة توفر المهارة والخبرة الجيدة لدى المنجز أثناء قيامه بما يعد إنجازا, يعرف إدواردز الإنجاز بأنه"أن يكون الفرد ناجحا ومتفوقا وأن ينجز أعمالا تتطلب مهارة جيدة وجهدا كبيرا وأن يكون خبيرا في المجال الذي يعمل فيه وأن يجيد القيام بعمل صعب لا يقدر عليه الآخرين...."، ويري إدواردز هنا ضرورة أن يكون العمل المنجز عملا خارج من بوتقة الخبرة والمهارة العالية وأن يكون عملا صعبا يتحدى فيه الناس الآخرين الذي لا يجيدون هذا العمل وهذا التعريف كغيره من تعاريف علماء النفس يقضي بضرورة أن يكون الإنجاز عملا ومن هنا يتبادر لذهني سؤال في غاية الأهمية : هل التفكيروالكلام يعد إنجازا مثل ما يقوم به القادة ورؤساء الدول من توجيه الأوامر وكتابة التوصيات ألا يعد هذا إنجازا وإن لم يكن قد احتوى في مضمونه على أية عمل من قبل الأطراف التي توجه مثل هذه الأوامر ؟ أو ما يقوم به المفكرون من رياضيون وعلماء طبيعة وكيميائيون ألآ يعد هذا إنجازا وإن كان لا يحوي أكثر من الكلام وكثير من التفكير؟.أما بالنسبة لأن يكون العمل صعبا لا يقدر عليه الآخرين , فأنا أرى أنه ليس بالضرورة أن يكون العمل صعبا أو لا يقدر عليه الآخرين وإلا لكان الإنجاز محصورا فقط لأصحاب الكفاءات المتقدمة أو الشهادات العالية أو المهارات الفريدة فعليه يكون ربات المنازل وأمهاتنا خارج دائرة الإنجاز وحاشا أن يكون الإنجاز محصورا بالصعب فقط.فتربية الأطفال تربية صحيحة وسليمة إنجاز والإشراف على سير المهمات في المنزل إنجاز والحفاظ على استقرار البيت إنجاز وهذا إنجاز عظيم كيف لا والجنة تحت أقدام الأمهات.

يرى آخرون من المتخصصين في النفس البشرية أمثال :عبد المنعم الحفنى ضرورة توفر القدرة كعنصر أساسي حتى يعد الإنجاز إنجازا , والمقصود بالقدرة هي مدى العمل الذي يستطيع إنجازه الشخص في وحدة الزمن , حيث يقول عبد المنعم في

يعرف الإنجاز على أنه السعي الدائم للنجاح والإصرار عليه لتحقيق نهاية جيدة والانتهاء بأقصى سرعة من تأدية الأعمال الصعبة على أكمل وجه" , وهنا يتبادر لذهني سؤال وهو :هل ما قام به العلماء من اختراعات لم تخرج إلا بعد عقود من الزمن هل هذا يعد إنجازا؟ .فالإنجاز في نظري لا يرتبط بسرعة أو بطء ولا حتى بفترة زمنية معينة محددة لإنهائه فنحن هنا لا نقيس جودة الإنجاز وإنما نجدد ماهيته .فربما مثل هذا التعريف يواكب الإنجاز الذي يقوم به العمال في الشركات والمؤسسات والذي يحدد مدى كفاءة المؤسسة ويترتب عليه نجاح العمل من فشله .أما الإنجاز العام الذي يتناول مختلف جوانب الحياة المرنة التي لا يرتبط بها نجاح آخر غير نجاح الشخص الذاتي فهذه ليست بالضرورة بحاجة إلى فترة زمنية معينة حتى تعد إنجازا وحتى يتضح المقال أكثر نضرب مثالا على ذلك , كمثل الشخص الذي يرغب في تأسيس شركته الخاصة أو يرغب في زرع مزرعته الخاصة ففي هذه الحالة فإنه يعد إنجازا سوى تم هذا العمل ببطء أو سرعة وبغض النظر عن الوحدة الزمنية التي يتم فيها إنجاز هذا المشروع.

وحتى يعد الإنجاز المستقل إنجازا لابد أن يكون هناك هدف يسعى إليه المنجز من إنجازه , فالعمل الذي يؤدى وإن كان بكفاءات عالية وخبرة فريدة فإنه لا يعد إنجازا إذا لم تكن هناك فائدة مرجوة منه أو هدف يخدمه أو غاية تتحقق بها هذا الإنجاز. أما من يؤدي عمل ولا يرتجى منه أي فائدة فهو كم يرسم على الماء وحتى يظهر الإنجاز جليا واضحا ويصل إلى مقصده وغاياته لابد له من شروط ومراحل , إذا ما توفرت وصل المنجز إلى إنجازه وحقق هذه الأهداف التي يرتجيها. فالمنجز لا ينتظر الأحداث أن تأتي إليه بل لابد أن يكون صاحب مبادرة ويضع الأحداث التي يريدها لنفسها. ولابد أن يكون المنجز إنسانا ذو إرادة وعزيمة ونية صادقة ولا بد أن يحدد أولوياته وأن يضع الأهداف التي يريدها نصب عينيه. ولابد أن يكون على قدر عال من الثقة بالنفس , فواثق الخطى يمشي ملكا والإنسان الواثق من نفسه وطموحاته هو إنسان سعيد يقدر ذاته ويحترمها ويؤمن بأنه بمؤهلاته وقدراته قادر على الوصول إلى الهدف الذي ينشده فلا يتقهقر إذا فشل ولا يتوقف إذا تعثر , بل

يتعلم من أخطائه ويبني بها سلما للصعود إلى الأعلى. كما أن الإنسان الواثق من نفسه قادر على التعامل بأريحية مع البيئة التي تحيط به ولديه القدرة الفائقة على التكيف مع المستجدات , فلا يخاف التغير ولا يهابه.

يعتقد الكثير من الناس أن الأذكياء هم أكثر الناس حظا في الإنجاز , ولكن هذا اعتقاد خاطئ , فالذكاء والموهبة وحدهما لا يصنعان إنجازا , وإنما يرفعان من قيمته , وإنما المحور الأساسي والمتطلب الرئيسي للإنجاز هو العمل. فأديسون يقول أن الاختراع يتطلب و99% تجربة وجهد و1% ذكاء .فلا تدع الناس يعيقون تقدمك بشتى العراقيل التي يصنعونها أمامك بل اجعل من هذه العبقات تحديات توصلك لطرق أفضل للإنجاز فالضربة التي لا تميتك تقويك والخطأ الذي تقترفه يعلمك طرقا لا توصلك إلى الحل الصحيح .فالأهم في الإنجاز هو رضا النفس بغض النظر عن رؤية الآخرين وخاصة إذا كان الإنجاز إنجازا ذاتيا نابعا من النفس وإلى النفس وفي هذا يقول دكتور علم النفس الكويتي بشير الرشيدي :"الإنجاز هو كل ما قام به الإنسان في حياته ويرى أنه إنجازا بغض النظر عن رؤية الآخرين إليه".

كثير من الناس يظنون أن الإنجاز وأصحاب الإنجازات مقتصر على الحصول على المناصب العليا والسعي خلف الشهرة والركض وراء الشهادات العليا وحصد الجوائز والفوز بالمسابقات .ولكن الإنجاز مصطلح أكثر من هذا بكثير فهو ليس محصورا على النجوم والممثلين وأصحاب الاختراعات والكتاب المشاهير والشعراء ومقدمي البرامج التلفزيونية بل الإنجاز اعقد من هذا بكثير. فهناك أيضا الإنجاز الحياتي الاجتماعي في نطاق الأسرة والمجتمع .فالأب الذي يربي أبنائه ويسعى لصلاحهم وتوفير لقمة العيش لهم وسبل الراحة هو إنسان منجز. والأم التي تسهر على راحة زوجها وأبنائها وترتيب المنزل وزرع السكينة والهدوء والاستقرار في بيتها هي امرأة منجزه أيضا . والمزارع منجز في مزرعته وفي بيئته متى ما أتى بعمله بإتقان وعلى أكمل وجه والحداد منجز في عمله والنجار

منجز .وطالب العلم متى ما عمل بما علم هو إنسان منجز والمتطوع إنسان منجز. فكل إنسان يؤدي عمل ما بإخلاص وإتقان للوصول لهدف ما هو إنسان منجز .فالإنجاز لا تحدده شهرة الشخص , وليس مقتصرا على أصحاب الشهادات أو الاختراعات , بل كل إنسان بإمكانه أن يكون منجزا في حدود بيئته وبطريقته الخاصة .وعلى كل فرد في المجتمع أن لا يحقر من إنجاز الشخص الآخر , بل علينا جميعا أن نتكاتف في إنجازاتنا للوصول لغاية واحدة , وهي مجتمع متألف متماسك مستقر. ولعل أحد أسباب قلة الإنجازات في وطننا الحبيب هو غياب الدافع الذي يحفز النفس على العمل ويحثها على الأداء. وقد يكون الدافع ذاتي داخلي مصدره النفس وقد يكون دافع خارجي مصدره البيئة المحيطة بالإنسان. فكثير من المنجزين العرب في أوطاننا الذين يرتحلون ويغتربون بسبب عدم توفر الدوافع التي تجبرهم على البقاء. وقد تكون هذه الدوافع مادية مثل المال أو تكون معنوية مثل الرغبة في إثبات الذات والوصول للقمة.

علمتني الحياة أن السعادة هي أول ثمار الإنجاز , وأسمى أهدافه , وأنبل غاياته , وعلمتني أيضا أن الإنجاز ليس بحصد الجوائز والمشاركة في المحافل والفوز بالمسابقات , بل السعادة حين يكون الإنجاز في محيط مجتمعك وفي حدود أسرتك ,كأن تلقا أخاك بوجه مبتسم , أو تساعد عاجز لا يقوى على إعالة نفسه أو أسرته , أو تكفل يتيم فقد أحد أبويه , أو أن تتصدق على محتاج وتكفه عن التسول , علمتني الحياة أن أسرتك هي منجم ثمين لسعادتك .وفي هذا يدعو المدرب دارين هاردي ناشر مجلة النجاح :"إلى السعي نحو إحداث فرق وإضافة نوعية للبشرية ولو على نطاق ضيق كالأسرة أو العمل مثلا ,بدل اللهث وراء النجاح المنقوص الذي يتمثل بالجوائز والألقاب وغيرها , والذي من المفترض أن يكون نتاجا للأول". والإشكالية الحاصة الآن في الدول العربية هو أن الوصول للشهرة عن طريق الجوائز والدخول للمسابقات أو تأليف الكتب ,أصبح هو الإنجاز الذي يعده المجتمع إنجازا , متغاضيا الدور الأساسي الذي يقوم به أصحاب المهن البسيطة من دور للرقي باقتصاد المجتمع , فلا يعد ما يقوم به الصياد إنجازا ولا ما يقوم به المزارع , مما

أدى إلى عزوف الشباب عن المشاركة في هذه المهن والسعي خلف ما يعتبر إنجازا , حتى يكون الفرد قيمه فارقه ورقما صعبا يعتد به في الحياة البشرية ,متناسيا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان راعيا للغنم وكان تاجرا , ولم يحصد جوائز ولم يؤلف الكتب , ولم يصل للشهرة إلا عندما أنجز في حدود أسرته وتطور هذا إلى أن وصل لمجتمعه ثم للمجتمعات ككل. لسنا بحاجة لأكثر من 1% من الذكاء لننجز , ولكنا بحاجة إلى الجزء الأكبر من العمل , فالله تعالى يقول :"والعصر ,إن الإنسان لفي خسر , إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ".

*تم نشره سابقا في موقع سبلة عمان الإلكتروني

فاصل 6

كل شيء في هذه الليلة يردد اسمك

أمشي في شارعنا على ضوء القمر

وكأن الأرض ترتجف شوقا إليك

تحدثني فلا اسمعها تردد غير رسمك

غرفتك التي فارقتها تصرخ مشتاقة

لحرارة جسدك وطراوة ولين بشرتك

كل شيء يحن لذكراك

ملابسك ,

مرآتك ,

دولابك,

مكتبتك ,

وكرسيك!

كل ما أنظر في مرآتي أرى صورتك

وكأننا في لحظة إندماج , كما كنا قبل

أن ترحل!!

شيشتك التي ترشفها في كل فترة

أشعر بأنها تنفث رائحة الخزامى

كم تحدثني عن اشتياقها لشفتيك!

كل شيء في هذا المكان ينافسني

في إشتياقي

حبي

رغبتي

حتى في بوحي!

عشقتك لأنك مستحيل

ولأنك مستحيلي

عاهدت نفسي على أنك لي

لي وحدي , رغم أنك لغيري

لي بفكرك

ذاكرتك

حنانك

عطفك

سألاحقك مثل ظلك

لاحقني بقلمك

هل الدوافع دائما ذاتية؟

"إن جميع التصرفات ذاتية التوجيه , وجميع الخدمات هي لخدمة المصالح الذتية , وأن الحب هو حب للذات" , هذا نصا ما جاء على لسان نيتشه في حواره مع الدكتور النفسي بطل رواية "عندما بكى نيتشه" للروائي المبدع إرفين د.يالوم , حقيقة كلام يجعلك تفكر كثيرا قبل أن تصدر قرارا بالتأيد أو الرفض , لأن مجرد التأيد له سيخرجك من دوائر كثيرة أهمها :الإحساس و الإنسانية , ومجرد الرفض له سيجعلك في مواجهة كبيرة وعملاقة من نوعها مع فيلسوف عظيم مثل نيتشه. الذات الإنسانية هي محور الحياة التي يدور حولها الإنسان , ولكن ليست الدائرة الوحيدة , وإن حاول الكثيرون أن يجعلوها الدائرة الوحيدة , فلقد توسع الإسلام وجعل دوائر الحياة لا تقتصر على الإنسان ذاته فقط , فهناك النبات والحيوان والجماد , أي أن الطبيعة كلها تدور حول الإنسان وتحيط به , ومن الإجحاف أن يغض الفيلسوف الطرف عنها ويركز على الإنسان كذات فقط , نحن لا ننكر أن هناك فلسفات كثيرة ظهرت جعلت من غايات الإنسان الذاتية هي الهدف الأساسي في الحياة , ولا ننكر أن هذه الفلسفات تحمل الكثير من أوجه الصحة , ومن الإجحاف في حقها أيضا أن نرفضها كلها , لكن دائما الشواهد والتجارب هي التي تعطي نتائج واضحة وأوضح من سابقاتها التي تزيح التجارب من على الوجود وتغض النظر عن الحاصل وما يحصل حول الإنسان. لو ركزنا على نقطة ذاتية الدوافع والأهداف , سيثير في فكرنا أسئلة كثيرة منها وأهمها : علاقة الإنسان بالحيوان , والرفق به ؟ هل كل هذه المنظمات العالمية التي تقوم على مبدأ الرفق بالحيوان هل هي منظمات ذات دوافع ذاتية؟ رغم أن منفذيها ليسوا من ديانة واحدة , وليسوا من جنس واحد , وليسوا من ثقافة واحدة ؟ ما الذي يدفع الإنسان لرعاية الحيوانات والإهتمام بها والخوف من إنقراضها ؟ هل للحفاظ على التوازن البيئي

الذي سيؤثر عليه فقط في النهاية ؟ هل لأن الكائنات الحية تريحه وتبهجه ؟ ماذا عن الطفل الذي يبكي إذا تم قتل حيوان أمام عينه ؟ هل الطفل يعرف مصلحة ذاته في تلك المرحلة ؟. والسؤال الآخر الذي ينبغي أن نلفت نظرنا له هو قضية الإحساس , ما الذي يثير إحساس الإنسان ؟ هل الإحساس منه ما هو ذاتي ومنه وما هو غير ذاتي؟ هل بإمكان الإنسان أن يتحكم بإحساسه فيحس حينما يتوافق الموقف مع مصالح ذاته , ويتجاهل حينما يريد ذلك ؟ ماذا عن اشمئزاز النفس البشرية من القتل فطرة , رغم أن القتل قد يكون حلا لكثير من المشاكل التي تطرأ على الإنسان , إلا أن الإنسان لكونه إنسانا سويا يتألم حينما يرى إنسان آخر يتعذب أو يتصبب منه الدم رغم أن مصلحته تكون مع قتل هذا الكائن , لكن النفس تشمئز من هذا العمل وتنفر منه , لأنه يحرك كوامن النفس الإنسانية ومشاعره البشرية التي أساسها الإحساس والتعاطف والرحمة , رغم أن البشر لا يستفيدوا كثيرا من كونهم عطوفين أو رحومين ولا يعودا هذا لهم بأي منافع ذاتية فلذلك تنتشر في ربوع الأرض الجمعيات الخيرية والمؤسسات الإنسانية التي تكافح وتناضل من أجل الإنسان ذاته أو المؤسسات التي تهتم بما حول الإنسان من نبات وحيوان وتسن القوانين للرفق بها.

الإحساس غالبا لا يستأذن متى يدخل للإنسان , بل يأتي له لكونه إنسانا ويختلف عن الكائنات الأخرى بهذه الميزة , الإحساس لا يكون بدون سبب , بل قد يكون لأسباب حاصلة , وهذه الأسباب منها ما يتعلق بالذات أي تألم الذات للموقف , ومنها ما يتعلق بأسباب خارجية كأن يكون مشاهدة إنسان آخر يتألم , فيثير في نفسه مشاعر الرحمة والشفقة والتعاطف , لذلك الإحساس يدفع الإنسان ككائن بشري للكثير من التصرفات قد تكون أحيانا ضد مصلحته الذاتية , والإنسان الذي تكون كل دوافعه من أجل الذات هو الإنسان الذي يفكر في كل المواقف بعقله فقط , أما الإنسان الذي يمزج العقل مع الإحساس فإن دوافعه لا تكون أبدا من أجل الذات كلها , بل قد يشفق ويرحم من أجل الرحمة والشفقة ذاتها التي تأسره , قد لا تكون أهدافا ذاتية من أجل الذات ولكن أهدافا نابعة من الذات البشرية سببها ذات الإنسان ككل.

العناد

لعلك وأنت تسمع أو تقرأ عن العناد يتبادر لذهنك الكثير من الأسئلة منها : هل العناد حالة طبيعية أم مرض؟ لماذا يعاند الإنسان ؟ هل السبب طبع في الإنسان المعاند أم السبب يعود للمعاند والبيئة والظروف المحيطة أو اللحظة التي تم فيها التصرف ؟ ما هو العلاج أو الحل الأمثل في هذه الحالة ؟ وهل نتائج العناد دائما سلبية ؟ وعلى من تلقى نتيجة العناد , على العنيد أم المعاند؟

سأختصر حديثي عن العناد في النقاط التالية:

*العناد رد فعل طبيعي لإنهزام النفس أمام الآخر

*العناد هو مقاومة للهزيمة

*العناد قد يكون لاسترداد كبرياء النفس

*العناد قد يكون من أجل التعويض عن الكرامة التي يحس أنها مهددة بالخطر

* العناد معركة رفض الآوامر او النقد أو أي كلام جراح

*العناد لا يكون إلا ضد شيء يضع نفس الإنسان في موقف محرج أمام الآخرين

*العناد هو أمر طبيعي يوجد بنسب مختلفة في الناس ولا يخلو إنسان منه

*العناد ليس مرض يحتاج إلى علاج , بل أمر طبيعي غير مخل

*قد يصل العناد إلى درجة المرض ليس لأنه تصرف غير طبيعي , بل لأنه قد يستخدم

بطريقة خاطئة في معالجة أمور قد لا يكون علاجها المثالي العناد , بل علاجها التفهم والتروي حتى يصل المرء إلي الدرجة التي يستطيع فيها إتخاذ ردة الفعل الطبيعية والسوية

*العنيد يشعر أنه مجروح وعلاجه أن يتوقف الطرف الآخر عن فعله حتى يتأكد أن موقفه تم فهمه بصورة صحيحة

*العنيد شخص لا يقبل الهزيمة , ويتعود دائما أن يكون منتصرا , لذلك غالبا ما يكون

صفة الأشخاص المتميزين الناجحين المتفوقين.

*الطرف المقابل للمعاند لابد أن يتميز بقدرة فائقة على الخطاب وصياغة الكلام وإلا كان

كلامه ضربا من الكلام الأعوج الغير مستقيم.

*العناد قد يكون تمردا خلوقا في كثير من الأحيان

*العناد قد يكون فورة طبيعية ضد الواقع بكل تناقضاته

*العناد قد يكون بسبب اللحظة الخاطئة والزمن الخاطئ , أي بسبب الظروف

أو بسبب المعاند

*العناد لا يكون مرضا إلا إذا كان بدون سبب أو مقدمات , فقط من أجل العناد.

*المعاند لابد أن يتحاشى الدخول في مواقف مثيرة للعناد

*أسلوب الشخص من أهم العوامل والأسباب التي تحفز العناد لدى الشخص العنيد

*أحيانا التصرف الناتج عن العناد هو تلقين للشخص المثير للعناد

*ليس العناد دائما ذو نتائج سلبية وخاصة عندما يكون الشخص العنيد غير مسؤول عن

سبب التصرف أو كان المعاند يستحق ذلك التصرف الناتج عن العناد

*العناد قد يتحول إل طبع إذا تكرر التصرف أكثر من مرة , لذلك قد يحدث العناد

نتيجة عن طبع أحيانا , وهذا هو العناد السلبي الذي يتحمل العنيد نتائجه

السلبية.

*إذا نستنتج من هذا كله أن العناد قد يكون سلبي وقد يكون إيجابي , وسبب العناد

هو المسؤول الأول عن نتائج تصرفه العنيد.

هل كل صحيح مفيد؟

هذا سؤال أثير في ذهني حين قرآتي لرواية قواعد العشق الأربعون على لسان شمس التبريزي , هل كل صحيح مفيد؟, سؤال محير وجميل , لكن قد تختلف الإجابات عليه ليس لكونه سؤالا صعبا لا يستطيع أحد الإقتراب من الإجابة منه , بل لأن اللغة المستخدمة فيه لغة غامضة مبهمة غير واضحة , ولو وضعنا مفهوما لكل من صحيح ومفيد على حده لتبين الطريق للإجابة على هذا السؤال , فاللغة هي أحد وسائل تهيج الخلاف بين الأفكار والرؤى بصورة كبيرة جدا-راجع كتاب التفكير المستقيم والتفكير الأعوج-.لذلك بداية وقبل الإجابة على السؤال سوف نحدد ماذا نعني بالمفيد ؟ أو متى يكون الشيء مفيدا ؟ وماذا نقصد بالأمر الصحيح ؟ أي وفق أي معيار يكون الأمر صحيحا؟

الشيء يكون مفيدا وفق كل المعاير حين لا يكون ضارا , وفي نفس الوقت يكون هناك مصلحة يتم تحقيقها بوجود هذا الشيء تصب في صالح الطرف الآخر المفيد له , أي لا يكفي أن يكون الشيء غير ضارا حتى يكون مفيدا , فإذا أنتفى الضرر فليس بالضرورة تتحقق الفائدة , فقد لا يتحقق شيء , وفي هذه الحالة يكون الشيء في منطقة الحياد , أي أن وجوده وعدمه سواء , في حالة المفيد لابد أن يتمتع الشيء بميزة أو خاصية أو آلية ما تجعل منه مفيدا ويحقق المصلحة المرجوة وهذه الميزة هي جزء من ذلك الشيء , ويطلق مجازا عليه كله مفيد والأصل أن يكون الجزء مفيدا فقط , فالخلايا الشمسية المستخدمة في تحويل طاقة الشمس للطاقة الكهربائية مفيدة لأن الخلايا مصنوعة ومصممة بآلية تسمح بتحويل الطاقة من نوع إلى آخر , فالآلية التي تتميز بها هذه الخلايا مفيدة , في حين أن مركبات الخلية الشمسية مركبات سامة ضارة بالبيئة قد تهددها , إذا المثال يوضح أن المفيد قد يحمل أجزاء أو ميزات مفيدة لحالة وضارة لحالة أخرى , إذا بناء على هذا يأتي السؤال التالي :

هل المفيد يكون مفيدا بصورة مطلقة؟ فالمثال يوضح أن الشيء قد يكون مفيدا لشيء وفي نفس الوقت ضارا لشيء آخر , فالأكياس البلاستيكية مفيدة لأن الآلية التي توفرها لحفظ الطعام وحمله مفيدة , في حين تركيبها الذي تتكون منه تركيب ضار للبيئة , وهذا ينطبق على أمثلة كثيرة في الحياة , إذا نستنتج من هذا كله أنه لا يوجد شيء مفيد فائدة مطلقة , إذا مصطلح مفيد وضار لا يعتمد على الشيء ذاته , بل يعتمد على الظرف والبيئة التي استخدم فيها الشيء , إذا هو مصطلح يعتمد على منظومة متكاملة غير مجزئة , وطالما أننا نعتقد دائما أن الكون مليء بالحقائق والحقائق مصطلح جاء مفردا لكلمة حقيقة , والحقيقة كلمة مأخوذة من كلمة حق , إذا الحقائق حتى تكون حقائق لابد أن تكون صحيحة. والكون كله حقائق , والمفيد جزء من هذه المنظومة الكونية , إذا هو أحد هذه الحقائق , ونحن قلنا أنه لا يوجد مفيد مطلق ولا ضار مطلق , إذا لا يمكننا القول أن كل صحيح مفيد , لأن هذا رباط مطلق , ونحن نفينا الإطلاق في الإفادة , إذا الإجابة تكون لا , ليس كل صحيح مفيد , هذا في حالة إذا كنا نتكلم عن الحقائق الكونية التي يخضع لها الكون من أشياء وقوانين. ماذا إذا كان ما نقصده هو الأفعال الإنسانية , أي الأفعال التي تصدر من الإنسان , السؤال الذي يقفز إلى أذهاننا هو ما الذي يجعلها صحيحة أو خاطئة؟ على أي معيار ؟ ومن الذي يحدد هذه المعايير؟نجيب على هذان السؤالان أولا ثم ننتقل ثانيا إلى الإجابة على موضوعنا.أولا اختلفت المعايير التي تقيم الخاطئ والصواب على مر التاريخ , وأشهر تلك المعايير هي إما المعايير الإنسانية أو الدينية , وتعرف المعايير الإنسانية بالمعايير الفطرية أيضا , أي المعايير التي يعتقد الإنسان بأنها صحيحة بديهيا , فالمعايير الإنسانية الصحيحة لم يضعها الإنسان إلا لأنها مفيدة , والفائدة التي نقصدها هنا هي الفائدة العامة الغالبة , فالعدل قانون صحيح يتفق عليه الكل إنسانيا ولم يؤمن به الإنسان أنه صحيح إلا لأنه مفيد على المستوى الإجتماعي , والفائدة التي يحققها العدل هي الفائدة الكلية بعيدة المدى , التي ستجعل المجتمع مجتمعا متصالحا متكافلا مأمونا العيش فيه , يكفل فيه حق الغني والفقير كلا على حد سواء , ولكن إذا نظرنا للعدل على مستوى فردي فقد يكون العدل غير

مفيد أحايين كثيرة , وقد يكون الظلم في موقف ما هو مفيد لصالح طرف دون طرف آخر , أي أن الفائدة على المستوى الفردي فائدة غير مطلقة , لكنه على المستوى الجماعي مفيد فائدة مطلقة , فلابد حين نجيب على سؤال هل كل صحيح مفيد في مجال الأفعال الإنسانية أن نحدد هل الفائدة التي نقصدها هي الفائدة المجتمعية بعيدة المدى ؟ أم الفائدة الفردية اللحظية قصيرة المدى؟ هنا تكمن صعوبة اللغة ووضوحها يحدد الإجابة على مثل هكذا سؤال , فإذا كان على المستوى الأول فالإجابة نعم , أما إذا كان على المستوى الثاني فالإجابة لا. هذه إجابة السؤال على المستوى الأفعال التي تأتي الصحة والخطأ فيها على معايير إنسانية , ماذا عن المعايير الدينية؟ هل سيختلف الوضع؟ نعم يختلف الحكم كثيرا ,صحيح أن الإسلام جاء لمثل ما جاءت به القوانين الإنسانية , هي من أجل السعادة الإجتماعية الكلية بعيدة المدى , فالإسلام حين يضع قاعدة صحيحة فهو يضعها لأنها صالحة وخيرة ومفيدة , ولو كانت ضارة للمجتمع لما وضعها له , لأن الحفاظ على المجتمع هو هدفه , ولا يكون الحفاظ عليه بإلحاق الضرر به.هذا على المستوى البعيد المدى الكلي , أما على المستوى الفردي فقد يكون الخطأ مفيد لحظيا لفرد دون فرد آخر في الدنيا فقط , أما في الآخرة فلا يفيد غير الصحيح ولا يضر غير الخطأ , وطالما كلنا نؤمن أن الدنيا نهايتها الآخرة فإننا نؤمن أن كل ما يفعله الإنسان في الدنيا يتحمل نتيجته في الآخرة , عندها فإن الظلم لن يكون مفيدا لأحد أبدا سواء أكان فرديا أم جماعيا , لحظيا أم بعيد المدى , فالظالم العدل غير مفيد له

ثنائية الخير والشر

قرأت كتاب متوسط الحجم ولكنه ضخم الفكر وعميق المعنى للمفر على الوردي جاء بعنوان :"خوارق اللاشعور" , تكلم فيه عن العقل الباطن وخوارقه , والفرق بينه وبين العقل الظاهر, وحقيقة أثارتني عدة نقاط في الموضوع بداية بإعتراضه على ثنائية الحق والباطل أو الخير والشر اللواتي يؤمن بها المنطقين من أتباع سقراط وأفلاطون وصولا إلى أرسطوطاليس , المعلم الأول , وجاء بأمثلة كثيرة تبين أنه لا وجود لهذه الثنائية وإن كل شيء في هذا الوجود يحتوي على الإثنين بدرجات متفاوتة , فالمحبوبة مثلا بها من المساؤي ما ينفر المحبوب عنها , وبها من المحامد ما يفوق ذلك ويجذب المحبوب إليها , ولكن هذا لا ينفي حقيقة وجود مساؤي فيها , وحقيقة أنا من المعارضين لهذه النقطة التي أتى بها الكاتب وأراني أميل لمبدأ أرسطوطاليس وهو أن الحق حق لا باطل فيه , وأن الباطل باطل لا حق فيه , ولا شيء بينهما , وحقيقة لو عرف علي الوردي نقطة إعتراضي لوافقني فيما أقول ولوافق مقولة أرسطوطاليس أيضا , فتفنيد منطق أرسطوطاليس بأسئلة عامة شاملة غير محددة مثل هل وجود الإنسان على الأرض خير أم شر؟ لن تفيد القضية كثيرا , بقدر ما تزيدها تعقيدا , فبداية قبل كل شيء لابد أن نفرق بين الخير والشر أو الحق والباطل , فالخير مثلا هو كل ما يكون وجوده محمودا لذاته أو لأثاره ونتائجه والشر خلاف ذلك , وعليه يكون الحق هو الخير والباطل هو الشر , ولكن قد تكون ذات الشيء مكونه في لحظة من الزمن من مجموعة من الذوات , فكيف سيحكم على الذات الكلية؟ أم أنه لا يمكن الحكم على ذات كلية دون النظر التجريدي لها وتفكيكها إلى ذواتها الأساسية , فيكون الحكم على كل ذات على حدة , ولا يمكن الحكم على الذات الكلية بصفة الخير أو الشر , لأنها عبارة عن مجموعة من الذوات , فالإنسان مثلا , ليس من المنطقي أن نحدد إذا كان وجوده خيرا أو شرا , لأنه

مكون من ذوات جزئية مختلفة , وكل ذات منها تمر بمراحل مختلفة ومتباينة في لحظة عملها متأثرة بالبيئة والظروف والزمان أيضا , عليه نستنتج أن الذات حتى تكون مؤهلة للحكم عليها بأنها خير أو شر لابد أن تكون في مرحلة عمل لا سكون , أي أن فعل الذات هو الذي يدخل في القابلية للحكم عليه بالخير أو الشر , وليس الذات حد ذاتها وهي ساكنة غير متأثرة بشيء ولا مؤثرة على شيء , ولنضرب مثالا على ذلك سم الأفاعي , فسم الأفاعي هي ذات واحدة وهي مواد كيميائية تفرزها بعض الأفاعي للهجوم على ضحاياها , في حالة سكونه فهو سم , لا قيمة له , فلو وضعنا سم على الطاولة مثلا , فهل وجوده خير أم شر ؟ طبعا لا يمكن الحكم عليه ولا بالإمكان الخضوع للحكم أصلا , أما إذا كان في ظرف عمل , أي لحظة هجوم أفعى على إنسان مثلا , وبظروف معينة وفي زمان معين , وتهجم هذه الأفعى على الإنسان فإن السم في هذه الحالة شر. كلنا يعلم أيضا أن من سموم الأفاعي يستخرج منه علاج للكثير من الأمراض , وذلك عن طريق حقن السم في جسد حيوان , فيقوم الجسد تلقائيا بإفراز مواد تضاد عمل السم , فتؤخذ تلك الإفرازات المقاومة كعلاج للكثير من الأمراض من ضمنها لدغات الأفاعي , في هذه الحالة وفي هذه الظروف يكون السم خير , إذا السم بحد ذاته لا يمكن الحكم عليه بحكم ما لم تطبق الشروط التي تجعله مؤهلا للحكم عليه ,ومن هذا المثال نستنتج أن ثنائية الحق والباطل أو الخير والشر , هو منطق معقول لا مراء فيه , وباطل من يقول خلاف ذلك , لأن نظرته تكون نظرة عامة غير مؤطرة بأطر , وغير محددة بعوامل وشروط.

هل كل من جد وجد؟

علي الوردي كاتب مثير للجدل , وخاصة في ما يتعلق بتحليلاتها واستنتاجاته بما يخص العقل الباطن , في أحد كتبه الشهيرة المعروف بخوارق اللاشعور – تم ذكر الكتاب سابقا – تحدث عن استهجانه لما غرسه الجيل السابق فينا من أن "من جد وجد , ومن زرع حصد , ومن سار على الطريق وصل " , ويبرهن على قوله هذا بأن ليس من كل من أخذ بمقومات الفعل وأسبابه وصل لبغيته وطريقة , فالإرادة جيدة للعمل, ولكنها في كثير من الظروف هي معيقة للإبداع وخاصة فيما يتعلق بالإلهام , فمعظم الكتاب والأدباء والمشاهير , حققوا نجاحاتهم وهم في شبه غيبوبة فكرية , أي وهم ذائبين في ذاوتهم وفي موضوعاتهم , منسلين من الواقع وضغوطاته , بل أن الكثير منهم كانت تأتيه إبداعاته وخاصة الكتابية قبل النوم , أو في أثناء نومه , ويردف علي الوردي بقوله أن هذه المقولة – أي من جد وجد – هي مقولة متغطرسة ممن بلغ مغطسه ونظرة من برج عاجي لمن لم يحقق مقصده ويصل بغيته , الذي قد يكون أفضل إجتهادا ممن حالفه الحظ , وكانت الظروف له مؤاتيه , وأنتهى بقوله أن المقولة ليست صحيحة , وأنه ليس كل من جد وجد , وحقيقة تعليلات الوردي منطقية جدا , لكن ليست دائما صحيحة , فالجيل الذي انغرست في ذهنه هذه المقولة , لديه القدرة التامة على فهمها وفهم ما تعنيه ومقومات معناها , فلقد طرحت تغريدة بعنوان "ليس كل من جد وجد " على حسابي في موقع التواصل الإجتماعي , لأختبر مدى إدراك الأجيال المختلفة ممن تلقى هذا المعنى لفهمه لها , وتفاجأت حقيقة من حجم الوعي الكبير بهذه المقولة وملحقاتها , فالناس ترى أن الإيجاد الذي تتكلم عنه المقولة ليس إيجاد مادي , مثل ما تفضل الكاتب في شرحه لها , بل الإيجاد الذي تتضمنه المقولة هو مختلف أنواع الإيجاد من نفسي وروحي ووفكري وإيجاد مادي أيضا , فقد يعمل الساعي عملا لا يحصل

عليه مقابلا ماديا , بل يجد نتيجة له الراحة والسكينة وطمأنينة القلب , وقد لا يجد أيا من هذا كله , لكن يؤمن في النهاية أن عمله وإن إقترن بالنية الخالصة فإن له ثوابا لا ينقطع عند الله تعالى.لذلك فالمقولة السابقة الذكر – من جد وجد ومن زرع حصد ومن سار على الدرب وصل – الإختلاف حولها لا يعدو أن يكون إختلافا لغويا فقط , فالمضمون واحد ويؤدي المعنى ذاته.

فوائد الطقوس

لا تخلو ديانة من الديانات من طقوس وشعائر يكررها المتدين في فترة من الزمن , حتى تصبح عادة مألوفة عنده , إلا أن الإسلام هو الدين الغالب عليها كلها لكثرة الشرائع والطقوس القولية والفعلية , من تكرار التسبيح والحمد والحوقلة , إنطلاقا من الكثير من الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية التي تحض على ذكر الله وترديده لسانا , مرورا بالشرائع والأحكام التي تحث على العبادة البدنية التي تبرز كعادة بالممارسة والتكرار. كنت دائما ما أسأل نفسي , لماذا نحن بحاجة إلى تكرار خمس صلوات يوميا , لماذا لا تكفي صلاة واحدة ؟ ولماذا لابد أن نكرر حمد الله بعدد محدد من الأرقام في مناسبات مختلفة ؟ لماذا لا تكفي أن نحمد الله مره واحدة فقط بقولنا "الحمد لله " , ما الداعي لتكرارها ألف أو مئات المرات؟ , أؤمن دائما أن الإسلام لم يحلل شيء إلا لفائدة أو منفعة سواء أكانت تلك المنفعة مادية أو معنوية , أخراوية أو دنياوية , لابد من أمر ينتفع به الإنسان من ذلك الفعل وإلا لما أمر الله تعالى الإنسان بفعله , ولكن ما الهدف الذي يود الإسلام أن يصل له الإنسان من تكرار العبادات القولية والفعلية .قرأت كتابين أثارا فكري لأمر ما , أحدهما كتاب التفكير المستقيم والأعوج , والآخر خوارق اللاشعور , تكلم الأول فيه عن قوة الإيحاء , وتكلم الثاني فيه عن العقل الباطن وخوارقه , ولنربط بين المعلومتين فإن العقل الباطن يتقوى وينمو ويكبر بفعل عوامل عدة منها الإيحاء , والإيحاء هو تكرار القول عدة مرات أو الفعل حتى يصبح عادة , مع شرط وجود الثقة التامة عند فعله , فكلما كرر الإنسان من قول أو فعل فإنه يخزن تلقائيا في العقل الباطن , لكن بشرط وجود اليقين التام بهذا الشيء , وهذا ما يعرف في الدين بالخشوع , حين أن من شروط أي ذكر يقوم به الإنسان هو حضور القلب أثناء أدائه , وحضور القلب فيه يقين وقوة ثقة بإن ما يقوم به هو الشيء الصحيح , وليكن في المعلوم أن العقل

الباطن هو عقل الإيمان والإعتقاد والأمور الإرتجالية الشعورية التي تتحكم في سلوكيات المرء اللاتلقائية في أمور كثيرة , ولما كان الإسلام دين الله العلم الحكيم فإنه أعلم بفوائد كل عباده , فهو لم يخلق شيء ويوجده عبثا , فتبارك الله أحسن الخالقين.

فاصل 7

لم أصل للحقيقة , لكن أخترت أفضل الخيارات المتاحة الموصلة لها

*مرضى التوازن

غالبا ما تكثر الأمراض النفسية والسلوكية بين العباقرة والمشهورين والمبدعين , فقد قيل سابقا أن المريض النفسي إما عبقري زادت عبقريته عن الحد , وإما غبي يقترب غباؤه من حد الجنون , وطالما أن لكل إنسان درجات من الذكاء والجنون , فالكل مجنون وذكي بنسب مختلفة , لأنه حقيقة لا يوجد غباء أو ذكاء مطلقين , بل يوجد ذكاء بدرجات مختلفة , والذكاء الذي يتميز به العباقرة هنا هو ذلك النوع من النباهة الخارجة عن المألوف , لم يسبق لها مثيل , لذلك سمي العبقري عبقريا نسبة إلى واد يقال أنه مأهول بالجن والكائنات غير المألوفة , وحقيقة ذكاء العبقري نابع من استخدامه عقله الظاهر الواعي بصورة كبيرة جدا , فهو يملك عقل مفكر متفلسف محلل بصورة مذهلة جدا تفوق الصورة التي يملكها الناس العاديون , وكثيرا ما تحدث الأطباء النفسيون عن مرضى العباقرة أمثال : الرسام العالمي (فان جوخ) , المصاب بمرض ثنائي قطب , و أبي حيان التوحيدي المصاب بمرض الاكتئاب مثل غيره من العباقرة أمثال الرئيس الأمريكي السابق (ابراهام لنكولن) و الكاتب الإنجليزي الشهير (تشارلز ديكنز) و ملكة انجلترا السابقة (اليزابيث الاولى) , ورئيس وزراء انجلترا في الحرب العالمية الثانية (ونستون تشرشل) , والكاتبة الروائية (جيه كي رولينج) صاحبة سلسلة روايات هاري بوتر التي تعاني من اكتئاب حاد وتنتابها أفكار انتحاريه لكنها قاومت المرض وتعالجت حاليا , ومن العلماء العباقرة الأكثر شهرة والذين أصيبا بمرض التوحد هما العالمان (البرت اينشتاين) و (اسحاق نيوتن) , وغيرهم الكثيرون من أرباب الإبداع والشهرة وأصحاب العلوم والعقول الذين عرفوا بغرابة أطوارهم وبؤس حالاتهم النفسية .كل هذا يجعلنا نتساءل دائما لماذا أمراض النفس البشرية واضطراباتها تصيب هؤلاء أكثر من غيرهم , وحقيقة وجدت نفسي غارقة في تحليل هذه الحالات أثناء قراءتي لكتاب خوارق اللاشعور للمبدع علي الوردي , وسألت نفسي كثيرا , إذا كان سبب

أمراضهم النفسية والسلوكية هو عبقريتهم و كثرة استخدامهم للعقل الظاهر , فلماذا لم يصب به كل عباقرة العالم الذين برزوا خلال التاريخ الإنساني ككل , ولماذا ظهرت أعراضه جلية ظاهرة في بعض المشهورين ولم تظهر في بعضهم الآخر , ووجدت التفسير ضمنيا في هذا الكتاب , وهو أن العبقري شخص يتميز بكثرة استخدامه لعقله الظاهر الواعي المسؤول عن التفكير والمنطق والتفلسف والتحليل والاستنتاج , وكلما زاد استخدامه لهذا العقل زادت حدته ونشاطه , ولموازنة هذا النشاط لابد للإنسان أن يعادله باستخدامه في المقابل للعقل الباطن المسؤول عن الإيمان والاعتقاد والارتجال والإلهام والرغبات والمشاعر المكبوتة , والعقل الباطن هذا يتقوى بالإيمان والاعتقاد , والحاجة إليه دائما تكون بقدر استخدام الإنسان لعقله الظاهر , فالاتزان أمر ضروري وحتمي في كل أمور الحياة , وحتى في هذا الموضوع , فالعقلان لابد أن يعيشا في بيئة متزنة لا يطغى أحدهما على الآخر , لذلك العبقري يكون أشد الناس ابتلاء وأقواهم امتحانا , لأن الجهد اللازم لترويض عقله الباطن يزيد كلما زادت قدرته في استخدام عقله الظاهر الواعي , وينتج الاختلال النفسي والانحراف السلوكي إذا فقد هذا التوازن , لذلك ليس كل العباقرة مرضى نفسيين , وليس كل المرضى النفسيين عباقرة. وهذا التحليل يعلل أيضا الكثير المتداول بين عامة الناس بأن المرضى النفسيين هم ناقصو إيمان, والإيمان والاعتقاد يكون المسؤول عنه العقل الباطن , فلماذا يمرض العباقرة فقط بنقص الإيمان رغم أن نقص الإيمان منتشر كثيرا بين العباقرة وغير العباقرة , وفي الحقيقة هم ليسوا ناقصي إيمان , بل هم أناس قدر الله أن يخلقوا بصورة تحتاج إلى درجة أكبر من الإيمان تفوق درجة إيمان غيرهم من الناس العاديين , وعلاج ذلك كله بترويض العقل الباطن , واستخدامه بصورة تعادل الصورة التي يستخدمون بها العقل الظاهر , ويكون ذلك كثيرا باستخدام الكتابة والإبداع النثري والقصصي والتأليفي , اللواتي تلعب دورا بارزا في تفريغ الشحنات المكبوتة وعملية الإيحاء التي تروض العقل الباطن بصورة فعالة جدا , لذلك تجد أن معظم هؤلاء العباقرة المرضى النفسيين لديهم ميولات ورغبات كتابية مذهلة.

*تم نشره في صحيفة الوطن المغربية الإلكترونية

*دافع التحدي

كثيرا ما نسمع علماء النفس وأخصائي التنمية النفسية يتحدثون بإسهاب عن الدوافع التي تدفع الإنسان إلى فعل أو عمل ما , فكلنا مثلا يعرف هرم ماسلو الذي يوضح الحاجات الأساسية التي تدفع الإنسان للتغير ابتداء من الرغبة في تلبية الحاجات الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن انتهاء بالإنجاز والرغبة في أن يكون رقما ذو مكانة في المجتمع , والإنجاز والرغبة في تحقيق الذات حقيقة هو الذي يحتل قمة هرم ماسلو , لكن الحقيقة المرة التي لا يدركها الكثيرون من علماء النفس أن أغلبية ساحقة من البشر لا يبالون بالإنجاز , بل لا يهتمون به طالما أنهم يشربون ويأكلون ويتمتعون بالحياة ومتعها , ودائما ما يستدلون في ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :"من كان آمنا في سربة معافا في بدنه عنده قوت يومه , فكأنما حيزت له الدنيا" , وأصبحت الشريعة الإسلامية عامل تحبيط وهدم للكثيرين من البلوغ أو الوصول لقمة هرم ماسلو , بل يحتجون أحيانا كثيرة بالقناعة ويتمسكون بأقوال عربية مشهورة منها :"القناعة كنز لا يفنى " , فنادرا ما تجد شخصا يطمح أن يكون عظيما , وخاصة في بيئة تحث على التواضع في كل شيء , وتقدر المتواضعين والفقراء , وتبجل الزاهدين والعازفين عن صنوف الحياة , ولو كان الأمر بيده لفضل أن يقضي جل حياته في كهف منقطع عن الناس , لا يعرف متى تشرق الشمس ومتى تغرب , يعبد الله فقط دون كلل أو ملل , ويظن أنه بهذا سيحقق الجنة , ويصل إليها , وتناسى آيات كثيرة تأمر المؤمن بالضرب في الأرض , والتأمل والسير فيها , لكن وإن حاولت إقناعه فلن يقتنع لأنه يفضل أن يعيش حياة قنوعة في نظره , ولا بأس إن مرت سنوات عمره ولم ينجز ولا عملا أو مشروعا واحدا. هذه حقيقة فعلا مثيرة للجدل , ومدعاة للتحري والبحث في أسبابها وشرح مفصل لعواملها ومسبباتها و التقصي عن نتائجها , لكن الأكثر إثارة في الموضوع ليس هو سبب عزوف الكثيرين عن الإنجاز لكونه أمر لم تحث الشريعة عليه , أو لا توجد

أدلة كافية من الأدلة التي تحظ عليه , بل الأغرب من هذا كله هو أننا نجد ثلة ليست قليلة من المنجزين ولكن بدوافع مختلفة جدا عن ما ذكرها ماسلو في هرمه , فالكثير من الناس يعمل ويجتهد ويرغب في الإنجاز فقط من أجل لذة التحدي و والرغبة في المنافسة أو مجرد صفة طبعت في شخصيته وتنامت مع الظروف تعرف بالعناد.

التحدي أمر وسمة ليست غريبة على الشخصية الشرقية , فلا يوجد عنده أهم من كرامته وشرفه ورغبته في الحفاظ عليهما , وسيتحدى حتى الشيطان الأزرق ليصل إلى إنجاز لم يخطط له طيلة حياته ولم تحثه عليه عزيمته , فقط من أجل التحدي , أو أن القدر وضع في طريقه رجلا أثار في نفسه الرغبة في دحر الطرف الآخر ورد اعتباره وقيمته وتعد حقيقة هذه الوسيلة هي أنجح السبل لجعل العالم العربي يتقدم ويتطور , وهو أن يذكر دائما بأن العالم الغربي متقدم عليه وأنه أفضل منه , وأن تقدمه بمثابة تحدي لإمكانيات وطاقات العرب , عندها ستجد الكل يهب من صغيرهم إلى كبيرهم للعمل والإنجاز والبذل والعطاء وسيصلون إلى ما يجاوز قمة هرم ماسلو. عندما يضعك شخص في موضع تحدي , فهذا تصريح علني منه أنه أفضل منك وأنك لا شيء وأنه يستطيع السير على رأسك وأن يبزك , ويستطيع أن يسلبك ما تملك ويهدد راحتك وأمنك , التحدي يجعلك ترى نقاط ضعفك أمامك مكشوفة دون ستار , ويشعرك بضعفك ونقصك , ولا شيء مثله يستثير النفس ويجعل العقل يشتاط غضبا , بل يدخله في دوامة من الألم ويعصر كيانه ويجعله يحاسب نفسه ألف مره على أسباب تخلفه , وطالما أن التحدي يفعل كل ذلك فحري بعلماء النفس أن يستخدموه كسلاح من أجل التحقيق وعلاج من أجل الإنجاز , فيكون التحدي من أعظم الدوافع التي عرفتها البشرية لو أجيد استخدامه بالطريقة الصحيحة.

*تم نشره في صحيفة الوطن المغربية الإلكترونية

غروب الشمس

لا يوجد حدث على وجه الأرض لا يحدث وفق قانون , وقد يخضع له وحده , أو هو وغيره من الأحداث الأخرى , وطالما أن لكل حدث قانون , فإن لكل حدث دلالة ومعنى ومغزى , إذا أن القانون هو الذي يجعل الحدث مفهوما بلغة البشر , ويخرجه من دائرة العدم لحيز الوجود , والكرة الأرضية مليئة بالأحداث التي معانيها تنعكس في حياة الناس , وتؤثر على سير حياتهم , إذا أنه وإن إختلف القانون الذي يسير كل حدث , فإن الأحداث تترابط فيما بينها ؛ كون الذي أحدثها هو ذات واحدة , هي ذات الخالق جلت قدرته وتعالى اسمه , فلا عجب أن نرى لغروب الشمس مدلولات تتقاطع مع النفس البشرية تأثيرا.وإذا جئنا نحلل مدلولات غروب الشمس فلا بد من النظر للجزء في الكل , أي لنرى تأثير الأجزاء التي تشكل الحدث ككل دون التجزئة والفصل بينها , بل ندرس دورها في الحدث أولا , ثم ندرس تأثيرها على النفس البشرية ثانيا , وإذا شئنا أن نحلل الأجزاء فيمكننا أن نفككها إلى :الألوان التي تشكل صورة الحدث , سلسلة مشاهد الحدث و الأصوات إن وجدت.لنأتي للعنصر الأول أولا وهو الألوان , يقول علماء التنمية البشرية أن لألوان السماء لحظة غروب الشمس مدلولات كثيرة , فهي تتكون من مزيج من ثلاثة ألوان كالأحمر والبرتقالي والأصفر و وجميع هذه الألوان تشترك في نقطة واحدة ومعنى واحد هو العاطفة , أي أنها تثير مشاعر وأحاسيس النفس البشرية , وتجعلها تغوص في أعماق العاطفة والشعور و لذلك يرتبط غروب الشمس بالمعنى الرومنسي دائما , رغم أن سلسلة مشاهد الحدث قد تكون لها معنى آخر غير المعنى الذي توحي به الألوان , فالحدث هو غروب الشمس وأفولها , ومعناه الذي يوحي به هو النهاية و فقد تكون نهاية كل شيء , نهاية الحياة , نهاية الألم , نهاية المعاناة و نهايات أخرى لحظية يستشعرها الفرد في تلك اللحظة ويسقط عليها أحداث حياته و لكن الأغلب الذين يستندون في تحليلهم لغروب الشمس على تحليل النهاية يجعلون

منها دلالة سيئة تثير في النفس اللواعج والأسى , لذلك قد يرتبط غروب الشمس عن البعض بأمور محبطة مثيرة للتشائم مثل الموت أو أمور مثيرة للأمل مثل نهاية المعاناة , أما العنصر الثالث والأخير وهو عنصر الصوت , فعند بداية الحدث وهو غروب الشمس , تبدأ العصافير باللجوء لأعشاشها , وتسكن الحيوانات النشطة طول الصباح , ويتوقف عمل الإنسان , لذلك تقل الضوضاء نسبيا , ويعم السكون و ويسود الهدوء المكان , ويثير سكون المشهد في النفس الراحة والطمأنينة و ويهيج في النفس الإستقرار والتفكر , فهي لحظة مراجعة الذات , ولحظة ألفة وسكينة , تجعل من الإنسان ذات غائصة في أعماقها , متفكرة فيما حولها , مدركة ومستوعبة جيدا لما يحيط بها.إذا لو جمعنا الدلالات الثلاثة لعناصر غروب الشمس لوجدناها : العاطفة , النهاية لكل أمر سيء والراحة والتفكر , ولو لاحظنا أن الأمور الثلاثة هي أغلب الأمور التي تشكل النفس الإنسانية وتحتاجها النفس البشرية لتكون في قمة إنسانيتها وذاتيتها فتتجلى فيها النزعة البشرية بكل عناصرها ومقوماتها , وتجعل من الإنسان في تلك اللحظة كائن لا يلوذ إلا بالصمت ولا يلجأ إلا إلى السكون في لحظة من أقدس اللحظات التي يشعر فيها الإنسان بالسلام مع البيئة التي تحيط به ومع كل من حوله من البشر والكائنات الأخرى, فهل يا ترى للغروب دلالة تفوق ما نتخيله؟

فاصل 8

من كثرة الحب الذي
شع بين جنبي!
لكنت آلهة للحب في
العصور السومرية!

القراءة

دار حوارا ساخنا بيني وبين شخص عزيز على نفسي عن تربية الأطفال , وتطرقنا إلى موضوع القراءة وأهميتها للأطفال و فكما قيل سابقا "العلم في الصغر كالنقش على الحجر " , والعلم لن ولم يكن ما لم تكن القراءة متوفرة , ولا يخفى على الجميع صغيرنا وكبيرنا و عالمنا وجاهلنا , أهمية القراءة ودورها في تنمية فكر ومواهب الشخص العقلية والذهنية و وعلى الرغم من أن الجميع يوقن ذلك , ويدرك أهميتها ودورها إلا أن ثلة قليلة فقط من المجتمع هم من يقومون بها , ويواظبون على ذلك , أما الأغلبية فلهم نظرة مختلفة عن القراءة , والبون شاسع والهوة كبيرة بين الفريقين , وعلى الرغم من أن الثلة المثقفة هي التي تقرأ فقط , فإن القراءة ليست متعة بالنسبة لأغلبية هذه الثلة , بل مؤلمة جدا و وهذه حقيقة محيرة فعلا , دائما تجعلنا في حيرة من أمرنا , ودائما ما تطرح سؤالا يلح في صورة قاسية وهو هل القراءة ممتعة أم مؤلمة؟ , والحقيقة التي لابد أن نعترف بها هنا , أنه لا يوجد معيار حقيقي نقيس عليه الأمر , بل لا يوجد فكر معين يحدد لنا هل القراءة على إطلاقها ممتعة , أو على إطلاقها مؤلمة , ومن أي ناحية تكون القراءة ممتعة وفي أي النواحي تكون مؤلمة و فقد تكون القراءة أحيانا ممتعة فقط ,وأحيانا أخرى مؤلمة فقط و وأحايين كثيرة المزيج معا , وأغلبية القراءات التي تتم هي في حقيقتها مزيج بين الاثنين , لأن ميكنزم التفكير التي ترافق عملية القراءة هي عملية عقلية تتطلب الكثير من الجهد والعناء , وتستهلك الكثير من الطاقة فسيولوجيا , وهذا ما يجعلها مؤلمة أحيانا , علاوة على أن الفكرة التي تنقلها القراءة قد تجبر الشخص على الدخول في خيالات تصاحبها أفكار مؤلمة مؤثرة على كينونة الإنسان وعلى تكوينه الفسيولوجي والنفسي , فالقراءة هي عملية نقل لحياة أخرى , ومخاض فكري آخر , لا يسلم من الألم. أما المتعة التي ترافق القراءة فهي تأتي من أمور كثيرة أحدها هي المعلومة الجديدة التي تحملها القراءة , والتفكير الإيجابي المصاحب للفكرة التي تحملها القراءة , ولذة الحصول على المطلوب أو البحث المرغوب عنه و أو جمال

الكشف عن الحقيقة , وهذه درجة عالية من درجات ثمار القراءة لا يرومها أي شخص كان , بل تحتاج إلى ذهن وفر صقلته القراءة صقلا حتى وصل إلى درجة البحث عن الحقيقة.لعلنا خرجنا قليلا عن الموضوع الأساسي الذي أرغب في مناقشته هنا باستفاضة مقبولة و وهو موضوع يتعلق بتعليم الإطفال القراءة , ولكي نخوض في مثل هذه المسألة الشائكة , لابد من الإجابة على سؤال مهم جدا وهو :هل القراءة مهارة تعلم ؟ أم مهارة فطرية تنبع من ذات الشخص؟ , ما أعلمه ومتيقنة منه جيدا أنا القراءة مهارة كغيرها من المهارات , وطالما أنها مهارة فهي تعلم وتكتسب , أي أنها ليست فطرية , وهذا أمري بديهي لا يختلف عليه اثنان , على الرغم من أن الأغلبية يدركون هذا الأمر , إلا أنهم في منهج تربية أطفالهم فإنهم لا يحاولون تعليمهم هذه المهارة و والحجة الدائمة المشهورة هي أنه: "من يريد أن يقرأ سيقرأ بمفرده" , ويعارضون أي محاولة يقوم بها أحد الآباء لإجبار أبنائهم على مسك كتاب والشروع في القراءة , ويحتجون بذلك على أن الطفل ربما يتعقد من هذا الإجبار وأن له الحرية كاملة في إتخاذ قراره واختيار طريقه و ولابد للآباء أن يفسحوا لهم المجال قليلا ولا يدفعوهم لأمر لا يرغبون به , والأمر الذي نسيه هؤلاء هو أن الطفل حتى يختار شيء ويقرر أ يستمر أم لا , لابد أن يجرب هذا الشيء أولا , وإلا فإنه من العبث أن يقرر أمر يتعلق بشيء لم يجربه أصلا , وطالما أن الطفل يمتنع عن القراءة كل مره بفعل هوى النفس فلابد للآباء أن يجبروهم على القراءة ولو قسرا وخاصة في بداية مشوارهم حتى يجربوا القراءة الحقيقية فعلا و وبعدها يقرروا وإن كان بعد أمد طويل.إذا الحرية في أمر مصير كهذا ربما لابد من تجاهلها وخاصة في بادية المشوار و حتى تتولد لهم الحرية الكبرى التي تصنعها القراءة , وإلا فإن الجهل هم العبودية المحض , ولابأس بإجبار ولو قسرا إن كان سيتولد عنه ثورة من الحرية في النهاية , فالعبارة دائما بخواتم الأمور.

الأسوأ أم الأفضل

دائما ما يتعرض الكثيرون منا إلى مواقف من النوع التي تجعل تفكيرنا ينشغل نواع ما بالمستقبل وأحداثه , والمثال الأهم الذي أرغب في ضربه هنا هو مثال الانتظار والاستعداد لعمل مقابلة لوظيفة الأحلام مثلا , فهو مثال تتظافر فيه كل الشروط التي قد تساعدني في دراسة الظاهرة التي أرغب في الحديث عنها بإسهاب هنا , فهو يشمل على عناصر عدة , منها الاحتمالية و الأهمية , بالإضافة إلى أنه أمر مستقبلي , وقته الزماني هو المستقبل , ففي عنصر الاحتمالية فالموضوع يخضع لأمرين لا ثالث لهم إما النجاح أو الفشل باحتمالية المناصفة بينهما , والمناصفة لم تأتي من فراغ لأنه وإن كان احتمال النجاح عاليا في البداية , فإن احتمالية الفشل تزيد لأسباب غيبية المفروض أن توضع في الحسبان , فلا شيء مضمون النجاح وخاصة في مقابلة لشركة مجهولة الأهداف والمعايير ويتم وفق آراء أناس لا تدري عن المصالح التي تحركهم في أمر وموضوع مثل هذا. أما بما يتعلق بعنصر الأهمية , فالأمر إن لم يكن مهما لما شغل الفكر , واستحق أن نناقشه في الأساس ولما إهتم الإنسان المقبل على هذا الفعل به , ولكان في طي النسيان أصلا وسيان الإهتمام به من إهماله , والعنصر الذي يجب توافره في الموضوع حتى يكون قابل لدراسة الظاهرة هو أن يكون جزءا من المستقبل , أي فيما معناه يصعب التنبؤ بأحداثه. أما الظاهر ة التي أرغب في التحدث عنها هي: هل الأصح أن نفكر دائما في الأسوأ أم الأفضل الذي يمكن حدوثه عند الإقدام على أمر مستقبلي مهم له تأثير على حياتنا بصورة مباشرة أو غير مباشرة؟. كثيرا ما يذهب علماء النفس على أن التفكير في الأحسن والأفضل هو دافع يدفع الإنسان للمضي قدما في الأمر بأريحية تامة وثقة مطلوبة , و كما أنه يهدئ النفس ويجعل الفكر والعقل مستقرا ومهيأ

لخوض عباب مثل هذه الاحداث , لذلك يأخذ الناس هذه قاعدة يطبقونها ويعممونها على جميع أحداث وحالات حياتهم , والأمر خطر وبالغ الأهمية بحيث يجعلني أكتب عنه وأسهب في شرحه وتحليله. أولا عندما يخوض الإنسان في حدث من الأحداث , أو يكون على بعد يسير من خوضه , لابد أن يفكر ما تأثير ما أقوم به على ذلك الحدث , فإن كان التفكير في الأفضل دائما يجعلك في حالة سكر عن الواقع و ويجعلك لا ترى نقاط ضعفك فتقويها , ويجعلك تنسى الصعوبة التي أنت مقبل عليها , فالأفضل لك في هذه الحالة أن تنبذ التفكير في التوقع الأفضل وتفكر في التوقع الأسوأ, لأن التفكير في الأسوأ أحيانا كثيرة يجعلك شخص قابل لتحمل الصدمات التي قد تأتي بدون سابق إنذار من نتائج الحدث المستقبلي الذي أنت بانتظاره , وتجعلك تتهيأ تهيأ مناسبا لتحمل الخسائر والنتائج السلبية , وتجعلك شخصا غير إتكاليا على أمر واحد فقط , قد يكون في غير صالحك في النهاية , والإنسان العاقل هو دائما من النوع الذي يوازن بين الخوف من الفشل وبين رجاء النجاح , ليس من النوع الذي يفكر دائما ويراهن على نجاحه في كل شيء , وإن كان من الأشخاص ذو الإمكانيات العالية جدا والمؤهلات الخلاقة , لأن الخوف التام من الفشل يولد يأس تام وعجز عن مواصلة المسيرة في الخوض في الأمر المستقبلي , والأمل التام حمق وغباء , فهو مثل الأفيون المسكر الذي يذهب اللب ويسلب الفكر. لذلك عند الإقدام على أمر ما , لا يكفي التفاؤل فقط من أجل النجاح , بل لابد أن يفكر الإنسان تفكيرا يجعله يتجنب صدمة الفشل , وهذا لا يكون إلا بوضع احتمالية الفشل بجانب احتمالية النجاح .

الدموع والقرآن

حقيقة دائما ما يشغل بالي أمر ما , ويلح عليّ على شكل سؤال دائم , خاصة حينما أقرأ القرآن أو أقرأ قصص فيها ما فيها من المواعظ والعبر التي تخشع لها النفس ويرق لها القلب ويلين لها الفؤاد , فتهيج النفس لها وتذرف الدموع لا تلقائيا ولا شعوريا في نوبة خفيفة لذيذة تجعلك تهيم لا شعوريا في دنيا من خيالاتك , يا ترى ما الذي يجعل الشخص القارئ للقرآن يبكي حينما يرتل القرآن؟ ما الذي يجعل الإحساس يزداد والشعور يتنامى حينما تمر على آية من آيات الذكر الحكيم حتى قبل أن تفهم ما هو معناها , حقيقة في مثل هذه الحالات التي يبكي فيها الشخص لا شعوريا لحظات ترتيل القرآن فإن الأمر كله يعود للعقل الباطن , العقل اللاواعي المسؤول عن الإيمان والإعتقاد , سابقا ذكرت أنه كلما زاد فعل الإنسان للطقوس الدينية وزاد ترديده لعبارات التسبيح والتمجيد لا تلقائيا يتخزن هذا في عقله الباطن , وغالبا ما يخزن هذا العقل كل الأحاسيس والمشاعر المكبوتة التي يشعر بها الإنسان لحظة ترديده لهذه الطقوس , فعندما يعاود ترتيل القرآن فإن عقله الباطن يربط التلاوة بتلك الطقوس فيستحضر كل المشاعر التي تم تخزينها فتنطلق على شكل عبارات ودموع وآهات. الأمر حينما يتعلق بتلاوة القرآن فإنه لا يتعلق بالعقل الباطن فحسب , بل إن للقرآن نغمة وموسيقى داخلية خاصة من نوع فريد , ذلك النوع المرتبط بالإحساس والشعور , الذي يثير النفس ويهيج المشاعر , وخاصة الأحكام التجويدية التي تضفي لتلاوة القرآن رونقا خاصا يجعل النفس البشرية بكل أحاسيسها تتفاعل مع القراءة , على وجه التحديد الغنة , وأحكام الميم والنون الساكنتين , وأحكام المد , ولولا الترتيل , لما شعر الإنسان بذلك الشعور , ولما تحررت تلك المشاعر المكبوتة بداخله , المشاعر التي تم تخزينها في مناسبة دينية ما في العقل الباطن , وتم تهيجها لحظة الترتيل بفعل عوامل كثيرة منها القراءة ونوعها وتطبيق الأحكام فيها ,

وعوامل أخرى تتعلق بالخشوع , لمن كان خاشعا لحظة القراءة. دائما أشعر أن قراءة القرآن وترتيله يخرج على شكل أنين , أنين بموسيقى فريدة , تجعلك تتلذذ سماعه , وتشتاق لتكملة آياته , وحقيقة العلاقة بين الصوت والمشاعر يجعلنا في حيرة من أمرنا , هل هي موجودة فعلا , أم محض خيالات , وإن كانت محض خيالات فلماذا حض الإسلام على ترتيل القرآن وشدد بالغ في الأمر , لدرجة أن وضع أحكاما تجويدية , وميزه عن سائر القراءات , وكان الصوت عامل مهم من عوامل الخشوع , وكأنه مطرقة تطرق أبواب الفكر , فتهيجها وتجعلها في يقظة لما يقال , وكأن للقرآن لحن خاص , من النوع الذي يحرر النفس ويجعلها تحلق في سموات الحرية , تلك الحرية التي تدخل النفس في حدائق السعادة , والراحة والطمأنينة , فذرف الدموع عادة مصاحبة لتلاوة القرآن , لأنها طريق لتحرر المشاعر المكبوتة , المشاعر التي بنتها الطقوس بمختلف أنواعها في العقل الباطن , وحررها القرآن بعذوبة لحنها وموسيقاها الداخلية.

النجاح

عندما نلاحظ عن كثب ونراقب عن قرب ميولات الناس وتطلعاتهم المختلفة , نجد أنها تختلف من شخص إلى شخص , ومن ثقافة إلى ثقافة , ومن بيئة إلى بيئة , وقد يحدث تصادم كبير بين قطبين عملاقين من أقطاب الثقافة بين حقيقة هذه الميولات , هل هي حق أم باطل , ولو تمعنا الموضوع ونظرنا للقضية بحيادية أكثر لوجدنا أن جلّ اختلافهم إنما نابع من أمر محدد ألا وهو اللغة المستخدمة , والمفاهيم المتداولة التي يؤمن بها كلا الطرفين , والمصطلح الفيصل بين هكذا قطبين هو كلمة واحدة ألا وهي "النجاح" , نظرا لاختلاف كلي الطرفين في تحديد معنى هذا المصطلح فإنه تبعا لذلك تختلف ميولاتهم وطموحاتهم ونظراتهم للغاية من هذه الحياة , فكلا القطبين يسعون جاهدين للوصول إلى قمة النجاح , ولا شيء آخر غيره , وكلا الطرفين لديهما تفسير معين لمعنى النجاح في قاموسهما , ولو أزلنا اللبس الحاصل عن طريق طرح الأسئلة لتوصلنا إلى نقاط الاختلاف بينهما , كما أننا سنرى أن هناك نقاط متشابهة بين الاثنين أيضا. السؤال الذي يطرح نفسه هنا متى يكون الإنسان إنسانا ناجحا؟ هل معايير النجاح , معايير نسبية تختلف من شخص إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى؟ أم أنها معايير مطلقة يشترك فيها الجميع؟ متى نقول عن الشخص أنه شخص ناجح في حياته؟ وهل يوجد شخص فاشل أصلا؟.

أنا أؤمن دائما وفق الرؤى التي تشكلت لدي أنه حتى الفشل بإمكانه أن يتحول إلى نجاح إن أمكن استغلاله والاستفادة منه وحوّل إلى دافع يدفع الشخص إلى تحقيق المزيد من النجاحات في الحياة , إذا من هذا المنطلق لا يوجد فشل , بل توجد أخطاء , لأن الفشل في نظر الناجحين نجاح , وعليه لا توجد ثنائية يمكن تميزها بنجاح وفشل , بل يوجد درجات للنجاح. أما معايير النجاح فيمكن معرفتها بسؤال واحد فقط , وهو ما الغرض من الحياة أصلا؟ لماذا يعيش الإنسان وينجز ويعمل وينتظر النجاح؟. الغرض من الحياة هو تحقيق السعادة المطلقة للكل , وتحقيق العدل , والخير ونشر الحب والوئام , وطالما أن الحب والخير والعدل والحق أمور مطلقة

مشتركة بين كل البشر جميعا , فإن ما يترتب عليها مشترك أيضا , لأن كل شجرة تحتوي على ثمره واحدها لا يمكن إنكارها , وطالما أن الغرس واحد , فإن الثمار واحدة ألا وهي النجاح. لذلك من هو ناجح في اليابان فإنه سيظل ناجحا أيضا مهما اختلفت ثقافته أو بيئته. هذا بما يتعلق بالنجاح الدنيوي , أما النجاح الخاضع لتفاسير غيبية فهو خارج تفسيرنا هنا.

السؤال الآخر المحير في مسألة النجاح ألا وهو , هل النجاح مرتبط دائما بتحقيق الهدف , ماذا وإن لم يصل الشخص إلى هدفه؟ هل يعتبر شخصا ناجحا؟ رغم أنه قام بتنفيذ كل الخطوات الموصلة للنجاح؟ والسؤال الآخر الذي ينبغي الإجابة عليه وهو ما هي متطلبات النجاح؟ هل يكتفي المرء بالذكاء والعمل المجهد للوصول للنجاح ؟ هل هذا يعني أن كل الأذكياء المجتهدين يصلون إلى نجاحاتهم؟. حقيقة للإجابة على السؤال الأول لابد أن ندرك أن النجاح غير مرتبط بالهدف أبدا , لأن الهدف في واقع الحياة لا يعتمد إعتمادا كليا على المجهود والذكاء فقط , بل يعتمد على أمور أخرى كثيرة منها التوفيق , والحظ , وأمور غيبية كثيرة قد تتداخل مع خطة النجاح ,لذلك ليس من المنطقي أن تقتصر صفة الناجح على الشخص الذي يصل للهدف علما أن الوصول للهدف يرتبط بأمور كثيرة لا دخل للإنسان فيها ولا إرادة , لذلك فإن تقيم الشخص على الهدف الذي وصل له حتى يحدد أنه ناجح أم لا هو إجحاف في حق النجاح قبل أن يكون إجحافا في حق الشخص ذاته.

فاصل 9

أينما يوجد المال يوجد اللصوص

و

أينما يوجد الحب يوجد المجانين

و

أينما يوجد العلم يوجد الفلاسفة

و

أينما يوجد المهندسون يوجد العباقرة

و

وأينما يوجد

المال

و

الحب

و

العلم

و

المهندسون

أوجد أنا

المجنون والعبقري

يقال بين العبقرية والجنون شعرة
وأنا أقول :"العبقري شخص يتكلم
بشيء لا تفهمه , لكن ستفهمه فيما بعد,
لكن المجنون يتكلم بشيء لا تفهمه ,
ولن تفهمه, النظرة للعبقري تختلف
بإختلاف الزمن , أما النظرة للمجنون
تظل ثابتة لا تتأثر".
هذا يعني: "أن المجنون والعبقري في
الحاضر سواء , وفي المستقبل ثرى
وثريا".

انتهى

كلمة الغلاف

الفلسفة تبدأ بالدهشة وتمر بالتأمل إلى أن تنتهي برؤية شخصية تختلف من فيلسوف لفيلسوف , في حين أن العلم منهجه واحد للكل , ولا مجال للرؤى الشخصية فيه , لأن حقائقه تقترب من الحقيقة إن لم تكن الحقيقة ذاتها.

أشعر أحايين كثيرة أني أقرب إلى أن أكون فيلسوفة من أن أكون عالمة , رغم أني حصلت على شهادة البكالوريا في تخصص علمي بحت ألا وهو الهندسة الكيميائية , إلا أن الهندسة تختلف عن سائر العلوم في كونها طريق موصول للفلسفة , فهذا هو

أفلاطون يعلق على باب أكاديميته "لا تدخل علينا ما لم تكن مهندسا" , فها أنا أدخل عليك يا أفلاطون بعد ما أصبحت مهندسة

!